مُؤَاخَذَة الإنْسَانِ
بِجُرْم غَيْرِهِ عنْد أَهْلِ الكِتَابِ
عَرْضٌ ومُنَاقَشَةٌ

إعداد الدكتور:

سَامِيْ بن عَلي القليْطي

أكاديميّ سُعُوديّ، أستاذ مشارك، بكليَّة الآدابِ والعُلُوْم الإنسانيَّة

في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المقدمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1]، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين، البشير النذير، من بعثه ربه رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على دربه ونهجه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ مناقشة مسألة « **مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب** » تعدُّ من الأهمية بمكان، لما سينتج عنها من هدم لأساس وركيز من أهم معتقدات وركائز النصرانية، الذي يعدُّه أهله عماد الإنجيل، والأساس الثاني في الدين؛ أعني بذلك: القول بصلب المسيح تكفيراً لخطايا البشرية، وهذا ما صرَّح به النصارى أنفسهم؛ حيث يقول القس فايز فارس؛ أحد علمائهم، في أثناء حديثه عن خطيئة آدم، وخلاص المسيح لها: « فلو أننا أزلنا من آدم هذه الوظيفة النيابية لهدمنا حقيقة جوهرية في كل نظام الفداء، وتدبير الله للخلاص، حسب ما هو مبين في الكتاب المقدس »[2]، فانتفاء الصلب ومسبباته انتفاء وهدم للمسيحية[3].

---

(١) سورة الكهف، الآيات ١ – ٤ .

(٢) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٣١).

(٣) انظر: مسألة صلب المسيح لأحمد ديدات (ص ١٠).

ومن خلال هذه الدراسة أيضاً سيظهر موقف أهل الكتاب؛ يهودا ونصارى، من الذات الإلهية، ومن أنبياء الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، ومدى الحال التي وصل لها كتابهم المقدس، بعهديه القديم والجديد.

وستكون معالجتي -بإذن الله تعالى- لهذه الدراسة معالجة علمية موضوعية، قائمة على الحجة والبرهان، مستندة بما في أيدي النصارى من كتب هم مؤمنون بها، مستبصرة بأقوال وعلماء علم مقارنة الأديان؛ من المسلمين وغيرهم، موثقة مواردها قدر الإمكان، وستكون المعالجة في ضوء مناهج متعددة؛ منها: الوصفي، والتحليلي، والنقدي.

وقد عنونت لها بـ: « **مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب** »، جاعلاً هيكلها مشتملاً على: فصلين رئيسين، تسبقهما مقدمة؛ فيها توطئة للموضوع، والمنهج الذي ستسير عليها الدراسة، ويقفو ذلك خاتمة؛ عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المراجع، وفهرس للموضوعات، وذلك على النحو التالي:

المقدمة.

الفصل الأول: مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند اليهود.

المبحث الأول: عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره.

المبحث الثاني: تناقض عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره.

الفصل الثاني: مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند النصارى.

المبحث الأول: عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره.

المبحث الثاني: عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عقيدة وثنية.

المبحث الثالث: التناقضات والمؤاخذات على عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره.

الخاتـمة.

قائمة المراجع.

فهرس الموضوعات.

ثم إنني في نهاية هذه المقدمة أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله عزَّ في علاه لجامعة طيبة ولعمادة البحث العلمي فيها على دعم هذا البحث، وتسهيل جميع الصعوبات لإنجازه ولله الحمد والمنة، كما أتقدم بالشكر الجزيل لمجلة الدراسات العقدية لموافقتها على نشر البحث بعد تقويمه وتحكيمه من خبراء التحكيم المعتبرين، فجزاهم الله في الدارين خير الجزاء.

الفصل الأول:

مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند اليهود.

المبحث الأول

عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره

إنَّ عقيدة اليهود الأصلية، التى أتى بها نبي الله وكليمه موسى عليه السلام كانت تنص على عدم توريث الذنب، وعدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، وكانت تنطلق على أساس عدم وجود خطيئة موروثة، وأنَّ المسؤلية هي مسؤلية فردية، وأنَّ كل نفس بما كسبت رهينة.

وهذا ما أثبته الله تعالى عنهم في كتابه العزيز؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ حيث قال عز في علاه: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في أثناء شرحه للآيات السابقة: « ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد »[3].

وهذا المعتقد؛ الذي ذكره الله عنهم في القرآن الكريم نجده منصوصاً عليه صراحة في كثير من نصوص العهد القديم، ومن ذلك:

---

(١) سورة النجم، الآيات ٣٦ – ٣٩ .

(٢) سورة النجم، الآية ٣٨ .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٧٦).

ما جاء في سفر التكوين؛ أول أسفار التوراة الموجودة بين أيدي أهل الكتاب اليوم، في أثناء قصة قابيل وهابيل، وتقديمهما القربان، وقبوله من هابيل، وعدم قبوله من قابيل؛ حيث جاء فيه إنَّ الرب قال لقابيل: « لماذا اغتظت، ولماذا سقط وجهك، إنْ أحسنت أَفَلاَ رَفْعٌ، وإنْ لم تُحْسِنْ فعند الباب خَطِيَّةٌ رابِضَةٌ، وإليك اشتياقها، وأنت تَسُودُ عليها » [(١)].

وما جاء في سفر التكوين من التوراة أيضاً، في أثناء ما ذكره السفر من مناجاة إبراهيم عليه السلام لربه، في مؤمني قوم لوط ومصيرهم، قبل نزول العذاب على سدوم[(٢)]؛ حيث جاء فيه إنَّ إبراهيم قال لربه: « أفتُهلكُ البارَّ مع الأثيمِ ... حاشا لك أنْ تفعل مثل هذا الأمر؛ أنْ تميت البارَّ مع الأثيمِ، فيكون البارُّ كالأثيمِ، حاشا لك، أديانُ كُلِّ الأرضِ لا يصنعُ عدلاً » [(٣)].

وما جاء في سفر التثنية؛ السفر الخامس من التوراة، من أنَّ الرب قال: « لا يُقتلُ الآباءُ عن الأولادِ، ولا يُقتلُ الأولادُ عن الآباءِ، كُلُّ إنسانٍ بخطيئتِهِ يُقتلُ»[(٤)].

وما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني، في أثناء الحديث عن أمصيا؛ أحد ملوك اليهود: « ولما تثبَّتت المملكة عليه؛ قَتَلَ عَبِيدَهُ الذين قتلوا الملكَ أباهُ، وأمَّا بنوهم فلم يقتلهم، بل كما هو مكتوب في الشريعة، في سفر موسى،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٤، الفقرتان ٦ – ٧ .

(٢) سدوم: مدينة من مدن قوم نبي الله لوط عليه السلام إحدى مدن السهل الخمسة، وهي من المدن التي أهلكها الله سبحانه وتعالى لشذوذ وكفر أهلها، بأنْ جعل عاليها سافلها، وتقع الآن تحت الماء في جنوب البحر الميت.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٢٠٠–٢٠١)، وقاموس الكتاب المقدس (ص٤٦٠–٤٦١).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٨، الفقرات ٢٣ – ٢٥ .

(٤) سفر التثنية، الإصحاح ٢٤، الفقرة ١٦ .

حيث أَمَرَ الرَّبُّ قائلاً: لا تموتُ الآباءُ لأجلِ البنينَ، ولا البنونَ يموتونَ لأجلِ الآباءِ، بل كُلُّ واحدٍ يموتُ لأجلِ خطِيَّتِهِ »[١].

وما جاء في سفر إرميا، فيما يذكرونه عن الرب أنه قال: « في تلك الأيام لا يقولون بَعْدُ الآباءُ أكلوا حِصْرِماً[٢]، وأسنان الآباء ضَرِسَتْ، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحِصْرِم تَضْرَس أسنانه »[٣].

وما جاء في سفر حزقيال؛ فقد جاء في هذ السفر وفي مواضع عدة وبكل وضوح وجلاء؛ أنَّ كل نفس بما كسبت رهينة:

ففيه عن الرب أنه قال: « ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أَكلوا الحِصْرِمَ، وأسنان الأبناء ضَرِسَت، حيٌّ أنا، يقول الرب: لا يكون لكم من بعد أنْ تضربوا هذا المثل في إسرائيل، ها كل النفوس هي لي، نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. النفس التي تُخْطِئ هي تموت»[٤].

قال الإمام نجم الدين الطوفي –رحمه الله– عن هذا النص بعينه: « هذا معنى قوله تعالى في القرآن المجيد: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٥]، ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[٦]، ومعنى قوله: ﴿أَفَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٢٥، الفقرتان ٣ – ٤ .
(٢) الحصرم: هو حشف كل شيء ويطلق على الثمر قبل النضج.
انظر: لسان العرب لابن منظور (١٢ / ١٣٧)، والمعجم الوسيط (١ / ١٨٥).
(٣) سفر إرميا، الإصحاح ٣١، الفقرتان ٢٩ – ٣٠ .
(٤) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرات ١ – ٥ .
(٥) وردت هذه الآية في : سورة الأنعام، الآية ١٦٤، وسورة الإسراء، الآية ١٥، وسورة فاطر، الآية ١٨، وسورة الزمر، الآية ٧ .
(٦) سورة الإسراء، الآية ٧ .

﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[١]، وهي قضية عقلية بديهية؛ أنَّ أحداً لا يُعاقب بجريمة أحد»[٢].

وفيه أيضاً[٣]: أنه قال في نهاية الحديث عن الابن الذي ارتكب الجرائم والموبقات؛ من شرك وسفك للدم، وزنا وأكل للربا، وانتهاك للحقوق: «دمه يكون على نفسه» [٤].

وقال في نهاية الحديث عن الابن الذي عمل أبوه الموبقات والجرائم والتجاوزات السابقة: « فإنه لا يموت بإثم أبيه، حياة يحيا، أمَّا أبوه فلأنه ظلم ظلماً، واغتصب أخاه اغتصاباً، وعمل غير الصالح بين شعبه؛ فهو ذا يموت بإثمه »[٥].

ثم قال بعد ذلك كله وهو يردُّ على من يقول بتوريث الذنب: « وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الاب، أمَّا الابن فقد فعل حقاً وعدلاً، حفظ جميع فرائضي، وعمل بها؛ فحياة يحيا، النفس التي تَخْطِئُ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برُّ البارِّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون» [٦].

فخلاصة الأمر إذاً: أنَّ المعتقد الأساس الذي كان عليه اليهود هو: عدم توريث الذنب، وعدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره؛ كما ثبت ذلك

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٣ .

(٢) التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة (ص ٣٩٢)، وانظر أيضاً: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري (١ / ٣٨٠)، (٢ / ٦٣٧) .

(٣) أي: سفر حزقيال .

(٤) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرات ١٠ – ١٣ .

(٥) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرات ١٤ – ١٨ .

(٦) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرتان ١٩ – ٢٠ .

جلياً بنص كتاب ربنا القرآن الكريم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكما جاء في نصوص العهد القديم هذه؛ التي يقر بها اليهود ومن تبعهم؛ أعني النصارى كما سيأتي.

المبحث الثاني:
تناقض عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره

تقدَّم في المبحث السابق القول بأنَّ أساس عقيدة اليهود عدم توريث الذنب، وعدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره؛ لكننا نفاجأ بأنَّ هذه العقيدة غير مطردة في نصوص العهد القديم، حيث نجد العديد من النصوص تناقض هذه العقيدة تماماً، وتنص بكل صراحة ووضوح أنَّ الإنسان مؤاخذ بجرم وجريرة غيره، وأنَّ المعصية تورث للأبناء والذراري.

وتسرب هذا المعتقد وغيره لليهود وكذا في كتبهم، كان عن طريق الأمم الوثنية قبل اليهود، الذين احتك بهم بنو إسرائيل كثيراً، كما أشار إلى ذلك سفر الملوك الثاني من العهد القديم؛ حيث جاء فيه: « وكان أنَّ بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم، الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، واتقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموا، وعمل بنو إسرائيل سراً ضدَّ الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة» [(١)]، وجاء فيه أيضاً: « وساروا وراء الباطل، وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم، الذين أمرهم الرب أنْ لا يعملوا مثلهم » [(٢)].

قال شارل جنيبير؛ أستاذ التاريخ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس، في أثناء حديثه عن اليهود وعلاقتهم بالأمم الأخرى المحيطة بهم، من

---

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧، الفقرات ٧ – ٩ .

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧، الفقرة ١٥ . وانظر أيضاً: سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧ كله.

وثنيين وغيرهم، وتأثر العقيدة اليهودية بتلك العقائد الوثنية: « ولا شك في أنه قد تكونت منهم جموع غفيرة، بجوار الطوائف اليهودية الكبرى، في الشرق وفي مصر، أمَّا في روما؛ فمن المؤكد أنَّ بعض أعضاء الطبقات الشريفة، وخاصة منهم النساء، قد انضموا إليهم مع آخرين من مختلف الأوساط الاجتماعية. ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الأصلية الكاملة لعادات وروح إخوانهم في الدين من أهل فلسطين، فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد، ولاَنَ معها تعصبهم وعداؤهم للأجنبي في ربوع هذه البلاد؛ التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك ... وتأثروا في قوة وعمق بتيارات الثقافة اليونانية؛ التي انغمسوا فيها شيئاً فشيئاً، فإذا ما تركنا جانباً عقيدتهم الدينية، وفروض طقوسها الأساسية، وجدنا أنَّ هؤلاء اليهود – بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة – لا يفترقون في لغتهم ومظهرهم وثقافتهم العامة، عن الإغريق الذين يماثلونهم في الظروف الاجتماعية ... وامتزج فكرهم بهذا الأدب وهذه الفلسفة إلى حد الشعور بأنه لم يعد في اسطاعتهم التخلي عنهما لإرضاء الشريعة الموسوية، كما لا يستطيعون التخلي عن تلك الشريعة في سبيلهما »[(١)].

ثم ذكر شارل جنيبير بعد كلامه السابق أنَّ اليهود لم يكتفوا من الأمم المحيطة بهم والتي اختلطوا بها بالتطور الاجتماعي، وأساليب تنظيم الحياة، وطرق التفكير؛ بل أضافوا إلى ذلك الكثير من عقائد وأفكار الوثنيين وخلطوها في ديانتهم، كما أنَّ بعض الوثنيين المحيطين بهم خلطوا بعض عقائدهم وأفكارهم بعقائد اليهود وأفكارهم[(٢)].

(١) المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٥٩ – ٦٠).

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٦١) وانظر أيضاً من كتاب جنيبير: (ص ٣٠ – ٣٥ ، ٥٥ – ٦٤)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ٨١٦ – ٨٢٤)، والأصول

لكن نلحظ أنَّ قول اليهود هذا - أي في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره - لم يكن على الطريقة التي قال بها النصارى - كما سيأتي - فهم لم يتطرقوا لمسألة توريث خطيئة آدم عليه السلام[١] التي تشبث بها النصارى في معتقدهم، إنما ورد في كتبهم أنَّ ذنوب الآباء ينتقل إثمها للأبناء والذراري.

ومعتقد توريث الذنب، ومؤاخذة الغير به، وتفشيه بين اليهود، هو ما كان يرفضه ويحاربه سفر حزقيال، ومن قبله إرميا؛ وهما من أسفار العهد القديم المهمة.

يقول الدكتور أحمد شلبي عن حزقيال وسفره: « ورفض القول بأنَّ الأبناء يؤخذون بذنوب آبائهم، وأعلن أنَّ كل إنسان يؤخذ بذنبه فقط» [٢].

ويقول أساتذة اللاهوت في قاموس كتابهم المقدس: « لكن فوق الكل ساعد حزقيال الفكرة الروحية لأورشليم[٣] المستقبل؛ فهو يتناول تعاليم

الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ٢٠ ، ٤٠)، والإسلام بعيون مسيحية للطفي حداد (ص ٧٤)، وما سيأتي – بإذن الله - في أثناء مناقشة النصارى في قولهم ومعتقدهم .

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة للطوفي(ص ٤٢٩).

(٢) اليهودية (ص ١٧٢).

(٣) أورشليم: مدينة شهيرة منذ القدم، مقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين، حيث يوجد فيها: المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وحائط المبكى، وكنيسة القيامة، قيل إنَّ أساس اسمها " يور سالم " نسبة لسالم اليبوسي الكنعاني، الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وقيل إن معنى اسمها بالعبري " أساس السلام "، ولها تسميات عدة؛ منها: القدس، وبيت المقدس، ويبوس، وإيلياء، واريئيل، دخلها الإسلام صلحاً في عهد عمر على يد أبي عبيدة رضي الله عنهما. انظر: اليهودية لأحمد شلبي (ص ١٢٢-١٢٧)، وموسوعة المدن العربية والإسلامية ليحيى شامي (ص ٩٢-٩٤)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ١٢٩-١٣٥).

إرميا الأصلية، ويؤكد المسؤلية الفردية بأكثر وضوح » [١].

ويقول أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: « وقد عَلِم حزقيال أنَّ دمار أورشليم كان نتيجة الفساد الروحي في أجيال سابقة؛ لكن هذا الاعتقاد السائد بين بني إسرائيل أدَّى إلى نوع من القدرية واللامسؤلية؛ لذلك قدم حزقيال سياسة الله الجديدة بالنسبة لهذه المنطقة الجديدة؛ لأنَّ الشعب أساء فهم سابقتها، إنَّ الله يحكم على كل شخص بمفرده » [٢].

ولكي يكون كلامنا صحيحاً موثقاً؛ نعرض ونسرد بعض النصوص والقصص من كتب اليهود المقدسة، التي يظهر فيها ذلك التناقض الواضح البين في المسألة التي نحن بصدد الحديث عنها، أعني مسألة توريث الذنب:

فقد جاء في سفر الخروج؛ سفر التوراة الثاني: أنَّ الرب قال ضمن وصاياه العشر لموسى عليه السلام على جبل سيناء[٣]:« أنا الرب إلهك؛ إله غيور، أفتقدُ ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي » [٤].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٣٠٥).

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص١٦١٦)، وانظر أيضاً: الإسلام بعيون مسيحية للطفي حداد (ص٧٤).

(٣) جبل سيناء: وهو ما يعرف بطور سيناء، والطور هو الجبل الذي فيه شجر، وما ليس فيه شجر لا يسمى طوراً، ويقال سَيناء وسِيناء بالفتح والكسر، وهو جبل في صحراء سيناء بمصر كلَّم الله عليه كليمه موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ٤٧ – ٤٨)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ٤٩٨).

(٤) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الفقرة ٥ ، وانظر أيضاً سفر التثنية، الإصحاح ٥، الفقرة ٩ .

وجاء فيه أيضاً: أنَّ الرب نادى قائلاً: « الربُّ إلهٌ رحيمٌ ورؤوفٌ، بطيءُ الغضب، وكثير الإحسان، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطِيَّة، ولكنه لن يُبْرِئَ إبراءً، مفتقدٌ إثمَ الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء، في الجيل الثالث والرابع » (١).

وجاء في سفر العدد؛ سفر التوراة الرابع: أنَّ الرب تكلم قائلاً: « الرب طويل الروح، كثير الإحسان، يغفر الذنب والسيئة؛ لكنه لا يُبْرِئُ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء، إلى الجيل الثالث والرابع » (٢).

وجاء في سفر التثنية من التوراة: أنَّ الرب قال عن ابن الزنى: « لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب » (٣).

بل إنَّ الفقرة التالية لهذه الفقرة من سفر التثنية صرَّحت صراحة واضحة بأنَّ غير اليهودي لا يمكن أنْ يدخل جماعة الرب مهما عمل وفعل، وأنَّ باب الله ودينه مسدود أمام غير اليهودي الأصل، وأنها ديانة ذات ارتباط بشعب معين، ونصها هو: « لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد»(٤).

وجاء في سفر إرميا في أثناء مناجاته لربه أنه قال: « آه أيها السيد الرب، ها إنك قد صنعت السموات والأرض بقوتك العظيمة، وبذراعك

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، الفقرتان ٦ - ٧ .

(٢) سفر العدد، الإصحاح ١٤، الفقرة ١٨ .

(٣) سفر التثنية، الإصحاح ٢٣، الفقرة ٢ .

(٤) سفر التثنية، الإصحاح ٢٣، الفقرة ٣ ، وانظر أيضاً: اليهودية لأحمد شلبي (ص ١٩٨ – ١٩٩).

الممدودة، لا يعسر عليك شيءٌ، صانع الإحسان لأُلوف، ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم بعدهم، الإله العظيم الجبار؛ ربُّ الجنود اسمه » (١).

فالنَّاظر في هذه النصوص والمتأمل فيها يظهر له جلياً تناقض العهد القديم، ومن ثم تناقض عقيدة اليهود في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، أضف إلى ذلك ما تضمنته هذه النصوص من وصف الرب تعالى - الحكم العدل - بالظلم والجور، وذلك بتوريثه ذنب المذنب وفجوره لغير المذنب، وعلى حدٍّ تعبير سفر التكوين من التوراة: « أديانُ كُلِّ الأرضِ لا يصنعُ عدلاً » (٢).

نعم حاشا للخالق عز في علاه أنْ يظلم أحداً من خلقه؛ فهو أحكم الحاكمين وأعدلهم، وكما جاء في كتابهم: « لا تموتُ الآباءُ لأجلِ البنينَ، ولا البنونَ يموتونَ لأجلِ الآباءِ، بل كُلُّ واحدٍ يموتُ لأجلِ خطِيَّتِهِ » (٣).

وهذا العدل الإلهي نجده واضحاً جلياً في نصوص كتاب ربنا عز وجل القرآن الكريم؛ المنزل على خاتم الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً – فقد جاء فيه العديد من الآيات الكريمات؛ التي نصت على المسؤولية الفردية، وأنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، وأنَّ كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا يسأل عن عمل غيره إلا بمقدار مشاركته فيه، وأنه جل وعز حكم عدل، ليس بظلام للعبيد، مقيم قانون الجزاء والعقاب على العدل لا الظلم.

---

(١) سفر إرميا، الإصحاح ٣٢، الفقرتان ١٧ – ١٨ .

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٨، الفقرات ٢٣ – ٢٥ .

(٣) سفر أخبار الأيام، الإصحاح ٢٥، الفقرتان ٣ – ٤ .

ومن تلك الآيات، وذلك على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .
(٢) سورة الإسراء، الآية ١٥ .
(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٤ .
(٤) سورة فاطر، الآية ١٨ .
(٥) سورة الزمر، الآية ٤١ .
(٦) سورة الطور، الآية ٢١ .
(٧) سورة المدثر، الآية ٣٨ .
(٨) سورة غافر، الآية ١٧ .
(٩) سورة طه، الآيات ١٤ – ١٥ .

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2]، وقوله سبحانه:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[5].

وجاء في معنى هذه الآيات الكريمات أنَّ النبي ﷺ قال لوالد أبي رمثة – رضي الله عنهما – بعد سؤاله له عن ابنه: « أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه »، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[6].

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ١١١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٣ .

(٤) سورة لقمان، الآية ٣٣ .

(٥) سورة فصلت، الآية ٤٦ .

(٦) وردت الآية في : سورة الأنعام، الآية ١٦٤، وسورة الإسراء، الآية ١٥، وسورة فاطر، الآية ١٨، وسورة الزمر، الآية ٧ .

والحديث رواه أحمد في المسند (٢ / ٢٢٧ – ٢٢٨)، (٤ / ١٦٣)، وأبو داود في السنن، كتاب الديات، باب لا يؤخذ أحد بجريرة أخيه أو أبيه (٤ / ٦٣٥ – ٦٣٦)، والنسائي في السنن، كتاب القسامة، باب هل يؤخذ أحد بجريرة غيره (٨ / ٥٣)، وابن ماجة في السنن، كتاب الديات، باب لا يجني أحد على أحد (٢ / ٨٩٠)، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل (٧ / ٣٣٢ – ٣٣٦).

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - في شرح الطحاوية: « وقوله سبحانه: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[١] آيتان محكمتان، مقتضيتان عدل الرب تعالى:

فالأولى: تقتضي أنه لا يُعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذه بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا.

الثانية: تقتضي أنه لا يُفلحُ إلا بعمله، ليقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطَّمعِ الكاذب » [٢].

بالإضافة لما تضمنته نصوص العهد القديم السابقة من تناقض عقيدة اليهود في توريث الذنب، ووصف الله عز وجل بالظلم والجور نجد أنَّ نص سفر التثنية السابق عن ابن الزنى، وأنَّ نسله لا يدخل جماعة الرب حتى الجيل العاشر[٣]، اشتمل بالإضافة لما سبق على تناقضات واضطرابات عديدة في كتاب اليهود المقدس، فهذا النص دل على أنَّ ابن الزنى لا يدخل جماعة الرب حتى الجيل العاشر، بينما نجد نصاً آخر في سفر المزامير ينص على أنَّ داود عليه السلام من جماعة الرب، وأعلى ملوك الأرض، وأنَّ له رحمة الله وعهده هو ونسله[٤]، وهذا تناقض بينٌ واضح في كتابهم المقدس؛ فعندهم أنَّ داود عليه السلام وآباءه من نسل فارص بن يهوذا بن نبي الله يعقوب عليه السلام، وأنَّ داود هو البطن العاشر من فارص بن يهوذا[٥]، وفي سفر التكوين من

(١) سورة النجم ، الآيتان ٣٨-٣٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦٧٠).

(٣) انظر: سفر التثنية، الإصحاح ٢٣، الفقرة ٢ .

(٤) انظر: المزمور ٨٩، الفقرات ٢٤ – ٢٩ .

(٥) انظر: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢، الفقرات ١ – ١٥، وإنجيل متى، الإصحاح ١،

التوراة أنَّ فارص هذا جاء عن طريق الزنى، حيث جاء في هذا السفر التوراتي أنَّ يهوذا - وهو الابن البار ليعقوب، الذي نال حبه ورضاه وبركته، وجُعلت النبوة في عقبه!![1] - التقى ذات يوم بثمار وزنى بها، بعد أنْ تعرضت له؛ ظاناً أنها بغي من البغايا، وثمار هذه هي كنته؛ زوجة ابنه البكر « عير »، وبعد موته تزوجها أخوه « أونان »، ومن بعده خطبت لـ « شيله » الابن الثالث، وكان زنى يهوذا البار!! بها -كما يقول السفر- بعد موت عير وأونان، وفي أثناء خطبتها لشيله، ومن ذلك السفاح حملت ثمار بتوأمين هما: « فارص وزارح »[2]، ومن نسل فارص كان داود، ومن بعده سليمان، ومن بعدهما مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام[3].

هذه صورة من الصور التي يصورها لنا كتاب اليهود المحرف في المصطفين الأخيار، وقدوة الأنام، وصفوة البشر، الذين اختارهم الله لتبليغ رسالته، وحمل شريعته، الذين قال الله عنهم في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ

الفقرات ١ – ١٧، وإنجيل لوقا، الإصحاح ٣، الفقرات ٢٣ – ٣٨ .

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٤٩، الفقرات ٨–١٢، وقاموس الكتاب المقدس (ص١٠٨٥– ١٠٨٧).

(٢) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٨ .

(٣) انظر: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٣، الفقرات ١ – ٥، وإنجيل متى، الإصحاح ١، الفقرات ١ – ١٧، وإنجيل لوقا، الإصحاح ٣، الفقرات ٢٣ – ٣٨ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٣٣ .

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وصدق الله القائل في حق اليهود:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[2].

قال الإمام القرافي – رحمه الله – وهو يرد دعوى اليهود بعدم تحريف توراتهم، وقولهم: إنَّ ذلك من عجائب المسلمين وافتراءاتهم: « وفي التوراة أنَّ يهودا بن يعقوب عليه السلام زنى بكنته ... مع أنَّ في التوراة أنه كان حظياً عند أبيه، ودعا له بتخليد الملك والنبوة في عقبه، فلا نبوة يهودا صانوها عما تليق بأدنى السفلة من الفاحشة، وسوء السمعة، ولا دعاء يعقوب عليه السلام صانوه عن عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة، وذلك كله ينافيه ما للأنبياء عليهم السلام من العصمة، بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم في جميع أحوالهم عما يوجب وصمهم واحتقارهم في نفوس شيعهم وأممهم، وذلك دليل التبديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى، وعلى خاصته صلوات الله تعالى عليهم أجمعين »[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات ٨٣ – ٨٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٢ .

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٣).

وقال الإمام أبو عبيدة الخزرجي بعد أنْ ذكر قصة يهوذا مع ثمار: « هذا كله نص التوراة التي بأيديكم اليوم، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش، وبِشَرَهِهِمْ إلى التقول بهذا على صفوة الله من خلقه » [١].

ومما جاء في توراة اليهود التي بين أيديهم اليوم من قصص مختلقة، اشتملت على السوأتين السابقتين؛ أعني: سوءة القول بظلم الرب، وعدم العدل بتوريث الذنب، وعقوبته لمن لم يذنب ويقترف جرماً، وسوءة انتقاص أنبياء الله المكرمين المصطفين الأخيار، ما جاء في سفر التكوين من أنَّ نوحاً عليه السلام بعد أنْ نجاه الله من الطوفان؛ شرب خمراً، وتعرى أمام أبنائه، فنظر إليه أحدهم، وغطاه بعضهم، فدعا على من لم يخلق ولم يقترف جرماً منهم وعلى نسله وذريته باللعن والويل والثبور، وعظائم الأمور!.

يقول الكاتب النصراني القس يوسف رياض في معرض تأييده لهذا الجور: « بسبب خطية واحدة لحام أبي كنعان حلت اللعنة على الملايين الغفيرة من نسله » [٢].

ونص القصة كما في التوراة هو: « وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافثَ، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض. وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس

---

(١) بين الإسلام والمسيحية (ص ٢٤٢–٢٤٣)، وانظر في الرد على هذه القصة أيضاً : بذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السمؤال (ص ١٧٤– ١٧٧)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل للجعفري (٢ / ٥٦٧ – ٥٦٨)، والانتصارات الإسلامية للطوفي (١ / ٢٨٠ ، ٤٠٤)، (٢ / ٦١٦)، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (١ / ١٢١)، (٤ / ١٢٣٢ – ١٢٣٥)، وتهافت الهداية لنخبة من العلماء (ص ١٠٥ – ١٠٨).

(٢) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ١٦).

كَرْماً، وشرب من الخمر؛ فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلمَّا استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث؛ فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم »[(١)].

فهذه القصة مختلقة مفتراة، وهي على حد تعبير الأئمة؛ القرافي والخزرجي والجعفري: أنـها من ترهات العوام، وخرافات وأحاديث العجائز والصبيان، جعلها اليهود قرآنا يقرأ، وخبراً منزلاً، مشتملة على خلق ذميم، وفهم سقيم، ليس من أخلاق العقلاء؛ فضلاً عن الأنبياء[(٢)].

وعن أهم ما في القصة من مآخذ ومطاعن، فهي كالآتي:

أولاً: وصف نبي الله ورسوله نوح عليه السلام العبد الكريم، الناصح الشكور، المنيب الصالح، المضروب به المثل في الجهاد والدعوة إلى الله، والصبر على الأذى، بأنه شريب للخمر والمسكر!!.

ثانياً: على ما في هذا الوصف من امتهان وانتقاص لنبي الله ورسوله عليه السلام هو في الوقت نفسه مناقض لما جاء في كتاب اليهود المقدس من ذم للخمر وشاربها، وبيان نجاستها؛ ففي سفر اللاويين من التوراة: أنَّ الرب

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٩، الفقرات ١٨ – ٢٧ .

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص ٨٢ – ٨٣)، وبين الإسلام والمسيحية للخزرجي (ص ٢٥٣)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري (٢ / ٥٦٥).

كلَّم هارون قائلاً له: « خمراً ومسكراً لا تشرب، أنت وبنوك معك، عند دخولك إلى خيمة الاجتماع؛ لكي لا تموتوا، فرضاً دهرياً في أجيالكم، وللتمييز بين المُقدَّس والمُحلَّل، وبين النجس والطاهر» [١]، وجاء في سفر الأمثال ما نصه: « لمن الويل، لمن الشقاوة، لمن المخاصمات، لمن الكرب، لمن الجروح بلا سبب، لمن ازمهرار العينين؛ للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج، لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تُظهر حِبَابَها في الكأس، وساغت مرقرقة، في الآخِر تلسع كالحية، وتلدغ كالأُفعُوان[٢]» [٣]، وفي الأمثال أيضاً: « اسمع أنت يا ابني وكن حكيماً، وارشد قلبك في الطريق، لا تكن بين شريبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم؛ لأنَّ السكِّير والمسرف يفتقران » [٤].

ثالثاً: إنزال عقوبة كبيرة، وهي الطرد والإبعاد من الرحمة الإلهية على مخالفة صغيرة، لا يُسلَّم أنها جرم أصلاً؛ فهي صادرة من طفل صغير، لم يتجاوز الحلم بعد، والعقوبة صادرة على حد قولهم من قِبل نبي ورسول من أنبياء ورسل الرحمة والهدى، مؤيدة من إله السماء زعموا!!.

رابعاً: مؤاخذة كنعان؛ الابن لحام، الذي لم يخلق ويوجد في ذلك الحين، على ذنب وجرم لم يفعله، بل فعله أبوه على حد قولهم، فصنيع نوح - الذي

---

(١) سفر اللاويين، الإصحاح ١٠، الفقرات ٨ – ١٠.

(٢) الأفعوان: كلمة عبرية يقصد بها الذكر من الأفاعي، وهي ترجمة للكلمة العبرية " نحاش " التي تعني الثعبان السام.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص ٩٥).

(٣) سفر الأمثال، الإصحاح ٢٣، الفقرات ٢٩ - ٣٢.

(٤) سفر الأمثال، الإصحاح ٢٣، الفقرات ١٩ – ٢١.

لا نؤمن بوقوعه أصلاً - ظلم وجور، لا يليق نسبته لعوام الناس؛ فضلاً عن نسبته لنبي من الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

قال الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله: « العجب أنَّ المذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل »[(١)].

خامساً: لماذا كان حام؟! ولماذا خصَّ من بعده ابنه كنعان؛ الذي هو رابع أربعة لحام، هم: كوش ومصرايم وفوط؟![(٢)].

فالجواب: ليكون حام وأبناؤه؛ الذين يسكن أحفادهم في فلسطين ومصر والحبشة وسائر أفريقيا، ولا سيما ابنه الأصغر كنعان؛ الذي يسكن أحفاده في فلسطين، ليكونوا جميعاً عبيداً لأسيادهم أبناء سام ويافث، ولا سيما أبناء سام؛ الذي يقول اليهود إنهم من نسله، وإنَّ كنعان وأحفاده ومساكنهم حق مشروع لهم بنص توراتهم.

فالتفرقة العنصرية البغيضة، التي نجدها في فلسطين ضد المسلمين، من قِبل اليهود الغاصبين، وفي بلاد الغرب ضد بلاد الشرق؛ ولا سيما أراضي غرب الأردن وأفريقيا، وما كانت تفعله حكومة جنوب أفريقيا في السود، كل ذلك كان ينطلق من نصوص مقدسة من كتاب اليهود والنصارى المقدس عندهم!.

---

(١) إظهار الحق (٤ / ١٢١٦)، وانظر أيضاً: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للبار (ص ٦٧ - ٧١)، وتهافت الهداية (ص ٥٧).

(٢) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ١٠، الفقرة ٦ ، وقاموس الكتاب المقدس (ص ٢٨٤ ، ٧٨٩)، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٤ / ١٢١٦).

وهذه التفرقة العنصرية لم تكن في يوم من الأيام ديناً يدان في الإسلام، بل هي فيه مرفوضة كل الرفض، فلا فرق فيه بين بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وأبي بكر القرشي العربي، فالفرق فيه لا للون أو لجاه أو لقبيلة؛ بل الفرق فيه منطلق من تقوى الله وخشيته[١]، كما جاء ذلك مقرراً في كتاب ربنا حيث قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢]، وفي سنة نبيه ﷺ حينما أعلنها مدوية في حجة الوداع حينما قال: « يا أيها الناس! ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[٣].

ومما تذكره التوراة المحرفة أيضاً عن الأنبياء - عليهم السلام - وتأييدهم للظلم، ومؤاخذة الإنسان بجريرة غيره، ما ورد في سفر التكوين من تعد فاضح على آل بيت نبي الله يعقوب عليه السلام من قِبل شكيم بن حمور الحوي؛ ابن أمير نابلس[٤] في ذلك الزمن، حيث زعمت توراتهم أنَّ شكيم

---

(١) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ٢٧٤ – ٢٧٧).

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥ / ٤١١)، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ١٠٠)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٨٦)، والحديث صحح إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحه (٦ / ٤٤٩ – ٤٥٢).

(٤) نابلس: وتسمى بشكيم وشخيم، وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين، بالقرب من بيت المقدس، تقع بين جبلين، مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه، وبها مذبح إله الوثنيين بعل.
انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٢٤٨–٢٤٩)، وقاموس الكتاب المقدس (ص٥١٤–٥١٥).

هذا زنى بدينة بنت يعقوب من زوجته ليئة بعد أنْ عشقته وعشقها، ثم جاء مع أبيه لخطبتها، وسمع يعقوب وبنوه ما فعله شكيم بابنتهم، فأجاب يعقوب وبنوه مطلب شكيم وأبيه بمكر وخديعة؛ حيث اشترطوا عليهم أنْ يختتن جميع ذكورهم، وبعد اختتانهم يعطون مطلبهم، كما يعطون الأمن والأمان، فلمَّا كان اليوم الثالث من الاختتان، وهم في وجعهم منه - كما تقول توراتهم - قام أبناء يعقوب شمعون ولاوي؛ أخوي دينة!! بقتل جميع ذكور البلدة، ومنهم شكيم ووالده حمور، ثم نهبوا جميع أموالهم وأنعامهم، وسبوا نساءهم وصبيانهم، وعاثوا في أرضهم فساداً ودماراً، كل ذلك حدث بمكر وخديعة أمام مرأى نبي الله يعقوب عليه السلام!![1].

فهذه القصة أو الفضيحة على حد تعبير الإمام أبي البقاء الجعفري[2]، والتي نعتقد بطلانها وعدم ثبوتها دنست بيت نبي الله يعقوب، واتهمته وبنيه بالمكر والخديعة والغدر، وعدم الوفاء بالعهد، كما اتهمتهم بالظلم والجور؛ حيث إنهم عاقبوا غير المسيء والمذنب، ففاعل الذنب هو شكيم لا جميع أهل القرية، وهذا مخالف لما تم ذكره سابقاً في كتاب يهود من أنَّ كل واحد يموت من أجل خطيئته، فقد جاء في قصة الملك أمصيا أنه قتل قتلة والده الملك يُوآش، وترك بنيهم انطلاقاً مما ورد في شريعة موسى عليه السلام من أنَّ الرب قال: « لا تموتُ الآباءُ لأجلِ البنينَ، ولا البنونَ يموتونَ لأجلِ الآباءِ، بل كُلُّ واحدٍ يموتُ لأجلِ خطِيَّتِهِ » [3].

---

(١) انظر القصة كاملة في: سفر التكوين، الإصحاح ٣٣، الفقرات ١٧-٢٠، والإصحاح ٣٤.

(٢) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢ / ٥٦٨).

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٢٥، الفقرتان ٣ – ٤ .

قال الإمام أبو عبيدة الخزرجي معلقاً على هذه القصة بعينها: « هذا لفظ التوراة تخرصاً وافتراء على الله تعالى عما يقولون. فما الفائدة في نزول هذا الحديث البشع على موسى بطور سيناء، بعد زهاء أربعمائة سنة، يقرؤه عليكم الكهان في المعابد، على أنه كلام منزل على رسوله موسى، فتستك به الآذان، وتعمى به القلوب.

وإنَّ لنرى دينة، وإخوتها الأسباط، وأباها يعقوب، أكرم على الله من أنْ يجري هذا عليهم» [١].

وقال الشيخ رحمت الله الهندي: « فانظروا إلى عِصْمَة دينا بنت يعقوب: إنها زنت وتعشقت بشخيم ... وانظروا إلى ظلم أبناء يعقوب: أنهم قتلوا ذكور أهل المدينة، وسبوا نساءهم وصبيانهم، ونهبوا جميع أموالهم، فخطؤهم وظلمهم ظاهر، وخطأ يعقوب عليه السلام أنه لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها، وما أخذ القصاص منهم، وما ردَّ النساء والصبيان والأموال المسلوبة ... على أنه يبعد كل البعد أنْ يقتل رجلان أهل البلدة كلهم؛ ولو فرضنا أنهم كانوا في وجع الختان» [٢].

---

(١) بين الإسلام والمسيحية (ص ٢٤٤).

(٢) إظهار الحق (٤ / ١٢٣١-١٢٣٢)، وانظر أيضاً: الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص٨٤)، والله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للبار (ص١٤٥-١٤٧)، ورد مفتريات المبشرين على الإسلام لعبد الجليل شلبي (ص ٦٥).

الفصل الثاني:
مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند النصارى.

المبحث الأول:

عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره

إنَّ مسألة توريث الذنب ومؤاخذة الإنسان بجرم غيره هي حقيقة جوهرية في الديانة النصرانية، يقوم عليها جل طقوس الديانة عندهم وشعائرها ونظامها، والتي من أهمها: عقيدة صلب المسيح عليه السلام والتي تعدُّ عندهم الأساس الثاني من أسس ديانتهم، كما تعدُّ عصب كل عقائدهم(١).

فالنصارى يشاركون اليهود إجمالاً في معتقد توريث ذنب الأباء للأبناء؛ لكنهم اختلفوا معهم في توريث ذنب ومعصية آدم للبشرية، وطريقة الخلاص من معصية آدم وبقية ذنوب العباد وآثامهم، فاليهود كما مرَّ بنا في الفصل السابق لم يتطرقوا لمسألة توريث خطيئة آدم عليه السلام والتي انطلق منها النصارى في معتقدهم، إنما ورد في كتبهم وهي نفس الكتب التي يقر بها وبما فيها النصارى: أنَّ ذنوب الآباء ينتقل إثمها للأبناء والذراري، كما ورد في كتبهم أيضاً ما حكاه القرآن الكريم عنهم بأنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، وأنَّ كل إنسان مرهون بعمله.

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٧)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص١٥٩)، ومسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء لأحمد ديدات (ص١٠)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٤-١٥)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس (ص٣١)، والأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص١٥٩).

فمعتقد النصارى قائم على مؤاخذة الإنسان بجرم غيره؛ فهم يرون أنَّ خطيئة أبي البشرية آدم عليه السلام وهي أكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، بإيعاز من حواء وبغواية من الحية[١]، دخلت الخطيئة للعالم، فتوارثها بنوه من بعده، والتصقت بهم، وأصبحوا خطاة بسببها، وأنَّ الله تعالى غضب عليه وعلى بنيه من أجلها، وأنَّه لما كان من صفاته عز وجل العدل والرحمة والمحبة، فقد كان من مقتضى صفة العدل أنْ يعاقب ذرية آدم بسبب معصية وخطيئة أبيهم التي ارتكبها، وطرد من الجنة بسببها، وبمقتضى صفتي المحبة والرحمة رأى أنْ يُقرب إليه ذرية آدم، ويغفر لهم ما حل بهم من معصية وذنب، فكان أنْ جاء بطريق الخلاص، الجامع بين صفات العدل والمحبة والرحمة، وهو المسيح ابن الله ووحيده؛ الذي عاش كما يعيش الإنسان، ثم قدم نفسه قرباناً وتكفيراً لمعصية آدم وخطايا البشر، فبالخطيئة تم الإبعاد والطرد، وبالكفارة تمت الإعادة والمصالحة ومحو الذنب[٢].

---

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاحان الثاني والثالث .

(٢) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٧-٨)، وبين الإسلام والمسيحية للخزرجي (ص ٧٢)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ١٢٩-١٣٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٥٩-١٦٠)، ومقارنة الأديان لطارق السعدي (ص ١٨١ – ١٨٢)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ٣ – ٤)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٤-١٥)، والمعمودية الأفخارستيا والكهنوت "بيان ليما" تعريب الأب ميشال نجم (ص ٢٤ – ٢٥)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ١٠٨ ، ١٤٨ – ١٤٩، ١٦٠ – ١٦١)، والعبادة المسيحية للارشمندريت إلياس (ص ١٠)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس (ص ٣٠-٣٤، ٤٠ – ٤١)، والكفارة في المفهوم المسيحي للقس يوسف رياض (ص ١٥ – ٢٤ ، ٤١)، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٧٧ – ٨٢ ، ٩٧ – ٩٨)، وحتمية الفداء للقمص زكريا بطرس (ص ٢، ٧ – ٨).

وفي تقرير ما مضى من عقيدتهم يقول شاعرهم:

قد محا عند الصليب دمُ ربـي إثمـي
وعن القلب الكئيب زال كـلُ الهـم[١]

وجاء في إنجيل متى عن المسيح أنه قال عن دمه: « يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» [٢].

وجاء في إنجيل مرقس: « لأنَّ ابن الإنسان أيضاً لم يأت لِيُخْدَمَ بل لِيَخْدمَ ولِيَبْذلَ نفسه فدية عن كثيرين » [٣].

وجاء في إنجيل يوحنا: « لأنه هكذا أحب الله العالم؛ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليُخلِّص به العالم » [٤].

وقال بولس في رسالته إلى أهل رومية: « من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » [٥].

وقال أيضاً في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: « المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » [٦].

---

(١) انظر: ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٩٣).

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، الفقرة ٢٨.

(٣) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٠، الفقرة ٤٥.

(٤) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٣، الفقرات ١٦-١٧ .

(٥) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٥ ، الفقرات ١٢ - ١٣ .

(٦) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٥، الفقرة ٣ .

وقال فيها أيضاً: « كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع »(١).

والنَّاظر في تقرير هذا المعتقد يجده أكثر ما يكون مقرراً بوضوح في رسائل بولس العديدة، بينما يجده في الأناجيل ليس بذلك الوضوح وتلك الصراحة الموجودة في رسائل بولس؛ فالأناجيل كان حديثها أكثر ما يكون عن ذنوب وخطايا الناس وسلوكياتهم التي باشروها بأنفسهم، بينما رسائل بولس كان تركيزها على ذنب لم يكن للبشرية فيه ناقة أو بعير، وهو الخطيئة الأولى، ووراثة البشرية وزرها وإثمها، وتحمل عيسى لذلك، وما ترتب على ذلك من الصلب والتكفير.

ثم لنفسح المجال لبعض كتَّاب وعلماء النصارى وصناع الدساتير وشرّاح كتبهم المقدسة عندهم يشرحوا ويبينوا لنا فلسفة هذا المعتقد:

يقول الكاتب النصراني القس يوسف رياض في كتابه الذي ألفه في بيان المراد بالكفارة في المفهوم المسيحي: « القضية التي نبحثها في هذا الكتاب هي قضية الكفارة، وكثيرون لا يفهمون الإيمان المسيحي، ويتعثرون بسبب مسألة الكفارة وصلب المسيح...علينا أنْ نفهم أنَّ المسيح لم يأتِ إلى العالم باعتباره نبياً، فخانه الحظ وقتله قومه، إنما أتى إلى العالم لكي يحل مشكلة البشرية الكبرى والمعقدة، وعليه فإنه لكي ما نفهم فكر الكتاب المقدس بخصوص الكفارة فإنه يلزمنا أنْ نبدأ القضية من بدايتها لنسأل ما هي مشكلة البشرية؟.

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٢ .

إذا أردنا أنْ نلخص مشكلة البشرية في كلمة واحدة، فإنَّ هذه الكلمة الواحدة ستكون هي: الخطية »[١].

ويقول أيضاً: « الكفارة إذاً هي الأساس الوحيد الذي عليه أمكن لله القدوس أنْ يقترب من الإنسان الخاطئ ليباركه. وبدونه ما كان ممكناً لبركات الله أنْ تمنح لجنس آدم الأثيم »[٢].

وقال القس فايز فارس: « فكما كان آدم نائباً عن الجنس البشري في الخطية والهلاك؛ هكذا صار المسيح نائباً عن المؤمنين به من البشر للخلاص، فلو أننا أزلنا من آدم هذه الوظيفة النيابية لهدمنا حقيقة جوهرية في كل نظام الفداء وتدبير الله للخلاص، حسب ما هو مبين في الكتاب المقدس »[٣].

وقال القمص زكريا بطرس: « الله خلق آدم في حالة الطهارة والبر، وعندما أخطأ بغواية الشيطان سقط من الحياة الأبدية، ونفي من فردوس النعيم، وجلب على نفسه حكم الموت طبقاً لحكم الله العادل؛ ولكن الله في عمق محبته، وكامل رحمته، شاء أنْ يغفر لآدم وبنيه خطاياهم، ويصفح عن عقابهم »[٤].

---

(١) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٥ – ٦).

(٢) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٩٨).

(٣) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٣١).

(٤) حتمية الفداء (ص ٢).

وقال الارشمندريت إلياس: « فبتجسد المسيح اتحدت الطبيعة البشرية بالطبيعة الإلهية بدون انفصال، وبفدائه لنا وارتفاعه على الصليب طوعاً ألغيت خطيئة العصيان، وبقيامه غلب الموت» (١).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس عن المسيح: « قدم نفسه لفك كل قيد، ورفع كل مسؤولية، وافتداء جميع من كانوا تحت رق عبودية الخطيئة؛ بشرط أنْ يقبل الخاطئ الفادي بإيمان قلبي » (٢).

وفيه أيضاً: « وحمل خطيئة الكثيرين، وأخذ على كاهله إثم البشرية الخاطئة الأثيمة، وقدم نفسه طوعاً واختياراً للقبض عليه، وللمذلة والهوان، والاتهام ظلماً وبهتاناً، وللصلب، فبلغت آلامه النيابية، وموته الكفاري، الذروة القصوى على الصليب » (٣).

وجاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في أثناء التعليق على معصية آدم عليه السلام: « في حال خطية الإنسان، كان الله قد أعدَّ خطته فعلاً للتغلب على نتائج هذا العصيان. والكتاب المقدس كله، ما هو إلا قصة الكشف عن هذه الخطة، التي أدت أخيراً إلى مجيء الله نفسه إلى الأرض في شخص ابنه يسوع. فحياته التي بلا خطية، وموته، جعلا من الممكن لله أن يمنح الغفران لكل من يطلبه» (٤).

وجاء في المادتين الثامنة والتاسعة من دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر عند الحديث عن خطية الإنسان والخلاص: « نؤمن بأنَّ آدم أبانا الأول

(١) العبادة المسيحية للارشمندريت إلياس (ص ٧٧ – ٧٨).
(٢) قاموس الكتاب المقدس (ص ٦٧٢).
(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص ٨٦٩).
(٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٥).

خلق بلا خطية، ووعد بالحياة الأبدية على شرط الطاعة الكاملة إلى حين؛ تحت قصاص الموت الجسدي والروحي إذا عصى. وأنَّ آدم بصفة كونه أباً للجنس البشري تعين نائباً عنهم. وأنه تعدى الوصية الإلهية مجرَّباً[١] من إبليس؛ فسقط بتعديه من حالته الأصلية حالة القداسة والشركة مع الله وصار عبداً للخطية. وأنه بسبب خطيته وقع تحت الدينونة جميع البشر المتناسلين منه تناسلاً طبيعياً ويولودون بطبيعة خاطئة بعيدة عن الله؛ منها تصدر جميع الخطايا الفعلية. وأنه ليس في طاقة أحد أنْ يخلص نفسه من حالة الجرم والفساد هذه.

نؤمن بأنَّ الله هو غني في الرحمة، من أجل محبته الغير محدودة للعالم، قطع قبل كل الدهور مع ابنه الوحيد عهد نعمة، فيها صار الابن نائباً عن الخطاة ووسيطاً لهم لدى الله ... وأنَّ الذين يقبلون هذا الخلاص إذ يولدون ولادة جديدة، يعادون إلى شركة الله، ويمنحون رغبة في ترك الخطية والعيشة، ويصيرون ورثة للحياة الأبدية »[٢].

ويرى النصارى: أنَّ الطريق الوحيد لحل مشكلة البشرية؛ أعني خطيئة آدم الموروثة لأبنائه، هو قتل المسيح ابن الله وصلبه، وأنَّ تكفير الخطيئة لا يكون أبداً بالتوبة، أو عمل الأعمال الصالحة؛ مهما كانت وعظمت قيمتها.

---

(١) من جرَّب يجرب تجربة، وهو الامتحان بهدف الإغراء والبعد عن جادة الطريق، والمقصود هنا محاولة الإيقاع بآدم وإغراءه على الخطيئة وارتكاب الإثم من قبل إبليس، لذا سمي الشيطان عند النصارى بـ" مجرباً ".

انظر: قاموس الكتاب المقدس (٢٥٥).

(٢) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر (ص ٢١ – ٢٢).

فعهد الأعمال الصالحة والطاعات في نظرهم انتهى وولى بخطيئة آدم الموروثة، ولأنَّ أعمال البشر الصالحة في نظرهم أيضاً ليست صالحة في نظر الله، فهي ملطخة بنقائص وعيوب الطبيعة البشرية الساقطة، كالثياب النجسة القذرة؛ كما جاء في سفر إشعياء أنه قال: « وقد صرنا كُلُّنا كنجس وكثوب عِدَّةٍ، كل أعمال برنا » (١).

ويرون أنه لما كانت تلك الخطيئة مرتكبة في حق الله نفسه، فكفارتها تكون بالموت، ولا يمكن أنْ تزال إلا به، فلا زوال لها بأعمال البر والخير، أو جميع أساليب التربية والتهذيب، وقوة الإرادة والتعليم؛ كما يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: « أجرة الخطية هي موت » (٢)، وتكون بسفك دم؛ كما يقول بولس أيضاً في رسالته إلى العبرانيين: « لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (٣)(٤).

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في أثناء التعليق على قصة عشاء يسوع مع تلاميذه الواردة في إنجيل متى: « أمَّا الآن فيستطيع جميع الناس أنْ يأتوا إلى الله مباشرة بالإيمان؛ لأن موت الرب يسوع وحمله

---

(١) سفر إشعياء، الإصحاح ٦٤، الفقرة ٦ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٦ ، الفقرة ٢٣ .

(٣) الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ٩، الفقرة ٢٢ .

(٤) انظر: مسألة صلب المسيح لأحمد ديدات (ص ١٠ – ١١)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٤٦٦)، ودستور الكنيسة الإنجيلية بمصر (ص ٢٥)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس (ص٢٩–٣٠، ٤٠، ١٠٢)، والكفارة في المفهوم المسيحي للقس يوسف رياض (ص٢٧–٣١، ٤٤ ، ٤٦)، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٨٣ – ٨٦)، وحتمية الفداء للقمص زكريا بطرس (ص ١٧ – ١٨).

خطايانا عنا قد جعلنا مقبولين في عيني الله ... يشير إلى اليوم الذي سيكون فيه الرب يسوع الذبيحة الكاملة والنهائية عن الخطية. فعوضاً عن الحمل الذي بلا عيب على المذبح، ذُبح حمل الله القدوس الكامل على الصليب، ذبيحة بلا خطية، حتى يمكن غفران خطايانا مرة واحدة وإلى الأبد، وكل من يؤمن به ينال هذا الغفران » [١].

ويقول الكاتب النصراني القس يوسف رياض: « الله لا يقبل طريق قايين مطلقاً؛ أعني طريق الاقتراب إلى الله بالأعمال. وهذا يقودنا للسؤال التالي: تُرى لماذا لا تصلح أعمالنا الصالحة للتكفير عن ذنوبنا؟» [٢] إلى أن قال: « وبالأسف الشديد يوجد اليوم الملايين في كل العالم؛ الذين يتبعون قايين في طريقه؛ أعني محاولة إرضاء الله ودرء غضبه ببعض الأعمال التي يتوهمون أنها أعمال صالحة، والتي يظنون أنها كافية للتكفير عن خطاياهم، وعنهم تقول كلمة الله: « ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين » [٣]، لا مفر إذاً من الطريق الذي رسمه الله؛ فالأعمال لا تصلح للتكفير، فهذه طريق قايين المرفوض، والعلاج أو بتعبير أدق: الكفارة بالذبيحة » [٤].

ويقول القمص زكريا بطرس: « السيئة التي يرتكبها الإنسان لا يكفي أنْ يقدم عنها اعتذار، أو مجرد توبة، بل لابد من تقديم كفارة أو فداء أو ضحية حتى يمكن غفران الماضي » [٥].

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص ١٩٥٨).

(٢) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٢٧).

(٣) رسالة يهوذا، الفقرة ١١ .

(٤) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٣٠).

(٥) حتمية الفداء (ص ١٧).

مع اعتقادهم بأنَّ الله كان باستطاعته أنْ يصالح البشرية بغير هذا الطريق؛ لكنه لم يرض لهم غير الفدء بابنه.

يقول القس بولس سباط: « لم يكن تجسد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر، ولا يُتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية ... إنَّ الله على وفرة ما له من الذرائع إلى فداء النوع البشري، وإنقاذه من الهلاك الذي نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهي، قد شاء سبحانه أنْ يكون الفداء بأعز ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً »[١].

ويقول الأب بولس إلياس الخوري: « مما لا ريب فيه أنَّ المسيح كان باستطاعته أنْ يفتدي البشر، ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة، أو فعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية جمعاء لأبيه السماوي؛ لكنه أبى إلا أنْ يتألم، ليس لأنه مريض بتعشق الألم، ولا لأنَّ أباه ظالم يَطْرَب لمرأى الدماء، وأية دماء؟ ابنه الوحيد، وما كان الله بسفاح ظلوم؛ لكن الله الابن شاء مع الله الأب أنْ يعطي الناس أمثولة خالدة من المحبة، تبقى على الدهر، وتحركهم على الندامة على ما اقترفوه من آثام، وتحملهم على مبادلة الله المحبة »[٢].

ويعتقد القوم أنَّ هذه الذبيحة، أو هذا الشخص؛ الذي سيتحمل خطيئة آدم، وخطايا البشر وآثامهم وتقصيريهم، لابد أنْ يتصف بصفات عدة؛ أهمها:

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٣).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٣ - ١٦٤).

أولاً: أنْ لا يكون محدوداً، وعن معنى هذه الصفة أو الشرط يحدثنا القمص زكريا بطرس قائلاً: « هذا هو أول شرط يجب أنْ يتوفر فى الفادي ... إنَّ الخطية تُقدر قيمتها وفقاً لقيمة الشخص الـمُخطأ فى حقه، وعقوبتها أيضاً تقاس طبقاً لمركزه، والتكفير عنها يتناسب مع قيمته. فمثلاً إذا أخطأت فى حق زميل لي، تكون خطيتي محدودة، ولا تحتاج لأكثر من اعتذار. أما إذا أخطأت فى حق صاحب السلطة؛ فإني أستحق عقوبة شديدة، ولا يكفي لها مجرد الاعتذار. وهكذا إذا أخطأت فى حق الله؛ فإنَّ خطيئتي تعتبر غير محدودة، لأنَّ الله غير محدود، وأستحق عقاباً غير محدود، ولهذا فإنَّ فدائي يحتاج إلى كفارة غير محدودة؛ لذلك فإنَّ الفادي الذي يكفر عن خطيتي يجب أنْ يكون غير محدود » [١].

ثانياً: أنْ لا يكون حيواناً؛ فالتكفير بالحيوان هو من الأعمال الصالحة، غير الكافية للتكفير، كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين: « لأنه لا يمكن أنَّ دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » [٢].

ثالثاً: يجب أنْ يكون خالياً من الخطيئة، فلو كان خاطئاً لاحتاج هو نفسه لمن يتحمل ذنبه ويكفره عنه، وهذا غير متوافر في البشر، لأنه على حد تعبير بولس في رسالته إلى أهل رومية لا يوجد منهم بار أبداً[٣]، وهو غير متوافر حتى في الأنبياء؛ لأنهم ليسوا بطاهرين عندهم! فدماؤهم على حد تعبير القمص زكريا بطرس ملوثة بجراثيم الخطيئة، ونص قوله: « فالنبي

---

(١) حتمية الفداء (ص ٦).

(٢) الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ١٠، الفقرة ٤ .

(٣) انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٣ ، الفقرة ١٠ .

مخلوق محدود، وهو أيضاً ليس طاهراً. إذ أنه من نسل آدم الذين تلوثت دماؤهم بجراثيم الخطية! »[١].

رابعاً: لا ينفع أنْ يكون ملاكاً أو مخلوقاً سماوياً نفسه ليست ملكاً له.

خامساً: يتحتم أنْ يكون إنساناً؛ ليمثل الإنسان أمام الله.

يقول القس يوسف رياض عن عقيدتهم هذه: «فيا لها من معضلة ! من أين لنا بمثل هذا الشخص العجيب، الذي يجمع كل هذه المواصفات معاً؟! إنسان، خال من الخطية، غير مخلوق، وقيمته أكبر من البشر مجتمعين!! »[٢].

وهذه الصفات عندهم لا تنطبق إلا على المسيح ابن الله وابن الإنسان كما يعتقدون؛ فهو الفادي الذي تحمل آثام وذنوب العباد، وليس غيره فادياً مكفراً، ولم يفد البشرية على حد زعمهم بمبادئه وتعاليمه ومعجزاته، بل فداهم بأمر آخر، وهو تقديم روحه ونفسه من أجلهم[٣].

---

(١) حتمية الفداء (ص ٦).

(٢) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٣٨ – ٣٩).

(٣) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٨٦)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٦)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٨٣)، والكفارة في المفهوم المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٣٧ – ٤٥)، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٨٦ – ٩٠)، وحتمية الفداء للقمص زكريا بطرس (ص٦–٨)، والدليل الروحي للقمصين أنطونيوس فهمي وبولا ناشد (ص٤٢– ٤٣).

قال يوحنا في رسالته الأولى: « يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإنْ أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآبِ يسوعُ المسيحُ البارُ وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً »[١].

وقال بطرس في رسالته الأولى: « فسيروا زمان قربتكم بخوف، عالمين أنكم أفْتُدِيتم لا بأشياء تفنى؛ بفضة، أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حَمَل بلا عيب ولا دنس؛ دمَ المسيح »[٢].

وقال بولس في رسالته إلى أهل رومية: « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه؛ لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة »[٣].

وقال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: « جعل الذي لم يعرف الخطية خطية لأجلنا»[٤].

وقال القمص زكريا بطرس: « نرى أنَّ يسوع المسيح هو الفادي الذي اكتملت فيه الشروط المطلوبة، فهو من جهة طبيعته الإلهية غير محدود، ومن جهة طبيعته البشرية هو إنسان، ومن جهة الطهارة فهو لم يعرف خطية قط. لذلك قدم نفسه ذبيحة على الصليب؛ ليكفر عن خطايا البشرية، ويموت فداء عن الناس جميعاً »[٥].

---

(١) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٢، الفقرتان ١ – ٢ .

(٢) رسالة بطرس الأولى، الإصحاح ١، الفقرات ١٧-١٩ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٣، الفقرتان ٢٤ – ٢٥ .

(٤) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٥، الفقرة ٢١ .

(٥) حتمية الفداء (ص ٧).

وقال الاشمندريت إلياس: « لقد أتى المسيح العالم وصار إنساناً لتكون حياته كلها على الأرض ذبيحة »[١].

وقال القس منيس عبد النور: « أتى ليتألم ويحمل في جسده العقاب الذي كنا نستوجبه بسبب خطايانا »[٢].

وقال أيضاً: « جاء المسيح إلى هذا العالم للفداء العظيم الذي لا يمكن حصوله إلا بتقديم نفسه ذبيحة عن الخطيئة »[٣].

ويرى أصحاب هذا المعتقد أنه لا ينبغي للإنسان أنْ يتساءل أو يسأل نفسه عن ذنب البشر وتوريثهم وتجريمهم جميعاً على معصية لم يرتكبوها هم، بل ارتكبها واقترفها فرد واحد؛ هو أبوهم آدم عليه السلام.

ويرون أنَّ عدم الإيمان بذلك هو مخاصمة لله، وفيه عدم الإيمان به وبمشيئته، وعدم الإيمان بكتابه، الذي نص على توريث خطيئة آدم للبشرية، وأنَّ الأبناء يحملون أوزار الآباء، وعدم الإيمان بابن الله يسوع الفادي المخلِّص.

ثم إنَّ من كان هذا حاله فإنه يستحق عندهم أنْ يكون من أهل الجحيم، ولا يستحق أنْ يغفر ويمحى عنه الذنب الموروث![٤].

---

(١) العبادة المسيحية (ص ١٠).

(٢) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس (ص ٣٣٧).

(٣) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس (ص ٣٣٩).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص ٦٧٢)، ودستور الكنيسة الإنجيلية بمصر (ص ٢٢، ٢٤)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس (ص ٣١)، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٩٣ ، ٩٦)، وحتمية الفداء للقمص زكريا بطرس (ص ٨).

جاء في إنجيل مرقس: « من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن»[١].

وقال يوحنا في أعمال الرسل عن بطرس؛ كبير الحواريين أنه قال: « كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » [٢].

وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن » [٣].

وجاء في المادة الرابعة عشر من دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر: « هذه الكفارة وهي مقدمة لأجل خطية العالم لا تصير فعالة، إلا لأولئك الذين ينقادون بالروح القدس إلى الإيمان بالمسيح كمخلِّص لهم» [٤].

وقال القس فايز فارس: « وبعض الناس يتساءلون: ما ذنب البشر لكي يجنوا ثمرة خطية لم يقترفوها أصلاً، ويقعوا تحت حكم الله ودينونته بسبب عصيان فرد واحد أياً كان ذلك الفرد.

ونحن كمؤمنين بالكتاب وبسلطان الله في ملكوته لا ينبغي أنْ نسأل هذه الأسئلة؛ لأنها تتدخل في مشيئة الله الذي لا يسأل عما فعل، وهي مخاصمة لله، وقد قال الكتاب: « ويل لمن يخاصم جابله. خزف بين أخزاف الأرض. هل يقول الطين لمجابله ماذا تصنع. أو يعدل عملك ليس له يدان[٥]» [٦].

---

(١) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦، الفقرة ١٦ .

(٢) أعمال الرسل، الإصحاح ١٠، الفقرة ٤٣ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ١، الفقرة ١٦ .

(٤) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر (ص ٢٤).

(٥) سفر إشعياء، الإصحاح ٤٥، الفقرة ٩ .

(٦) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٣١).

وقال القس يوسف رياض عن المطروحين في جهنم: « هو ما سيفعله الله فعلاً مع الذين لا يؤمنون بعمل ابنه لأجلهم »[١].

فهذا هو معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، وهذه هي شروطهم في الفادي والمخلِّص، وعن مناقشة هذا المعتقد وبيان جذوره وأساسه، وما يترتب عليه، وبيان تناقضه وأهم المآخذ عليه، ستكون المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

(١) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (ص ٩٦).

المبحث الثاني:
عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عقيدة وثنية

إنَّ ما يعتقده النصارى من مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، ومؤاخذة الأبناء بآثام الآباء وأوزارهم، وقولهم: إنه لا بد من مخلص وفادٍ يتحمل عن البشرية تلك الآثام؛ متوافرة فيه شروط معينة، هو من المعتقدات التي تسربت للنصرانية من غيرهم؛ من أهل الديانات الفلسفية والوثنية، مثلهم في ذلك مثل اليهود؛ الذين تسربت لهم بعض عقائد أهل الديانات الأخرى، وقد سبق ذكر شيء من ذلك في أثناء الحديث عن تناقض معتقد اليهود في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره؛ فقد ذكرت هناك ما جاء في سفر الملوك الثاني من تأثر عقيدة يهود ببعض الأمم الوثنية؛ حيث جاء في السفر: « وكان أنَّ بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم، الذي أصعدهم من أرض مصر، من تحت يد فرعون ملك مصر، واتقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموا، وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة» [(١)]، وقوله: « وساروا وراء الباطل، وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم، الذين أمرهم الرب أنْ لا يعملوا مثلهم » [(٢)].

وقد ذكر الله – تبارك وتعالى – في كتابه العزيز: أنَّ أهل الكتاب؛ من اليهود والنصارى، ضاهوا في كثير من عقائدهم، الذين كفروا بربهم من السابقين عليهم، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧، الفقرات ٧ – ٩ .

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧، الفقرة ١٥ .

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

قال شارل جنيبير: « لعله من العسير أحياناً أنْ نرجع في كل تأكيد لوناً من ألوان الطقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه؛ إلا أنه لا مجال للشك في أنَّ الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية، قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً، حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها، وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع، عندما دعت الضرورة إلى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة»[3]

ففكرة توريث الذنب، وأخذ البريء بذنب المذنب، ووجود من يتحمل هذه الخطايا عن غيره، هي فكرة وثنية، كانت منتشرة عند عدد من الوثنيات والفلسفات الفارسية والهندية والمصرية والسورية والإغريقية والرومانية، وغيرها من فلسفات ووثنيات، ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يذهب إلى أنَّ أصل فكرة توريث الذنب فكرة مجوسية

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٣٠ – ٣١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٧ .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (ص ١٢٦).

فارسية؛ مأخوذة عنهم على وجه الخصوص، ومن سائر الوثنيات على وجه العموم[١].

وشيخ الإسلام بما ذكره عن المجوس والفرس يشير إلى ما يعرف بالإله « مثرا » الذي عبده الفرس قبل ميلاد المسيح بستة قرون، وقد نزحت بعض طقوس هذه الديانة إلى روما كما يذكر المؤرخون قبل ميلاد المسيح بسبعين عاما، وصعدت أفكارها إلى الشمال حتى وصلت إلى بريطانيا، ووجد بعض آثارها في مدينتي يورك وشستر البريطانيتين[٢].

ويذكر روبرتسون أنَّ ديانة مثراس، أي الديانة المثرائية: لم تنته في روما إلا بعد أنْ انتقلت عناصرها الأساسية إلى الديانة المسيحية[٣].

ولو ألقينا نظرة على ما يعتقده عبَّاد « مثرا » في إلههم لوجدنا التشابه الكبير بينهم وبين ما يعتقده النصارى في إلههم المسيح عليه السلام.

وهذا التشابه فيه رد على من يحاول عبثاً أنْ يثبت بأنه لا علاقة ولا ترابط بين ما يعتقده المسيحيون في الكفارة، وبين ما هو موجود عند الأمم الوثنية؛ كما فعله صاحب كتاب الكفارة في المفهوم المسيحي، وغيره[٤]، فالترابط واضح، والعلاقة وثيقة، وهذا ما أثبته علماء مقارنة الأديان من نصارى ومسلمين.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ١١١).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص١٨١ – ١٨٢)، ومناظرة بين الإسلام والمسيحية (ص٢٦٢– ٢٦٣)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٧١).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٨٢).

(٤) انظر: الكفارة في المفهوم المسيحي للقس يوسف رياض (ص ٥٥ – ٥٧)، والأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ٥٢).

قال أندريه نايتون؛ أستاذ علم مقارنة الأديان في الجامعات الفرنسية: « لم تعترف الكنيسة الكاثوليكية حتى يومنا هذا بجذورها، وأصولها الوثنية، فهي كما يظهر لا تريد أنْ تحاور الموتى، أو أنْ تناظرهم؛ ذلك لأنَّ هذه الأديان الوثنية، التي استقت الكنيسة منها عقائدها، قد انطفأت وزالت من الوجود، أمَّا مؤرخ الأديان؛ فإنه بحاجة لازمة إلى العودة إلى الوثنية إذا أراد أنْ يدرس مسيحية اليوم ... ولقد آن لنا الأوان اليوم أنْ ننظر إلى المسيحية على ضوء الدراسات المستجدة عن الوثنية، وأنْ نقيم تلك العلاقة الخفية القوية بينهما »[١].

وقال أيضاً: « ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان؛ لا نستطيع أنْ ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة، وأواصر متينة؛ بل إنه يلزمنا ويجب علينا أنْ نبين كيف أنَّ المسيحية هذه تحدرت من الوثنية، وصار لهما نسب واحد، وأصل مشترك»[٢].

أما عن التشابه المذكور بين مثرا والمسيح فإننا نجد عبَّاد مثرا يعتقدون في إلههم ما يعتقد النصارى في مسيحهم، فهم على سبيل المثال يرون ما يلي:

- مثرا كان وسيطاً بين الله والبشر.
- مات مثرا ليخلِّص البشر من خطاياهم ومعاصيهم.
- كان يدعى مثرا بالمخلِّص والمنقذ.
- من أوصاف ميثرا: الذبيح، والفادي، والوسيط.
- دفن مثرا بعد موته، ثم عاد للحياة وقام من قبره.
- صعد مثرا إلى السماء بعد قيامته أمام تلاميذه، وهم يركعون

(١) الأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٥).

(٢) الأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٩).

ويبتهلون له.

- ولد مثرا في الخامس والعشرين من ديسمبر كانون الأول من إلهة عذراء[١].

وهذا التشابه بين مثرا ومسيح النصارى نجده أيضاً - كما أسلفت - في كثير من العقائد الوثنية قبل المسيحية في فارس ومصر والهند والصين واليونان وغيرها من بلدان، فالنَّاظر فيها يجد بينها قاسماً مشتركاً؛ فالكثير منها يدور حول مسألة الخلاص والمخلِّص، وتحمل الذنوب عن الآخرين، أو بتعبير آخر مسألة المنقذ والفادي والمضحي.

ومن ذلك على سبيل المثال: آبلو الذي يقدسه الإغريق، وهيركوليس إله الرومان، وأدونيس معبود قدماء السوريين، وملكارت في فينيقيا، وأوزوريس وإيزيس وحورس معبودات قدماء المصريين، وبعل معبود البابليين، وكونفوشيوس إله الصينيين، وباكوب وأوبوكو معبودات المكسيكيين، وبوخص ابن المشتري سيد الآلهة عند بعض الوثنيين، وأندرا إله التبت والنيباليين، وكرشنا وبوذا إلها الهنود[٢].

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٥٥)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٨٠ – ١٨١)، ومناظرة بين الإسلام والمسيحية (ص ٢٦٢ – ٢٦٣)، والأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٠ – ١١ ، ٥٢ – ٥٣)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٧١ – ٧٣ ، ١٢٦).

(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٤٨ – ٧١)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٧ ، ١٨٠)، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص ١٥٦ – ١٥٧)، والعبادات في الأديان السماوية لعبد الرزاق رحيم (ص ٢٠٩ – ٢١٥)، والمسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٧٠ – ٧٣، ٩١ – ١١١، ١٢١، ١٩٥ – ١٩٩)، والأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٩–٢٧، ٨٢، ٨٤).

قال دوان: « إنَّ تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم » [١].

وقال موري: « يحترم المصريون أوسيريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة » [٢].

وتقول المسس جمصون: « كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل خشبة، وتحت رجليه صورة حمل، والسوريون يقولون: إنَّ تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس، ويدعونه المخلِّص والفادي المصلوب، وكانوا يحتفلون في يوم مخصوص من السنة تذكاراً لموته، فيصنعون صنماً على أنه هو، يضعونه على فراش ويندبونه، والكهنة ترتل قائلة: ثقوا بربكم فإنَّ الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص » [٣].

وما أجمل ما صنعه صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية من مقارنة بين ما يقوله الهنود في كرشنا، وما يقولونه أيضاً في بوذا، وبين ما يقوله النصارى في المسيح يسوع عليه السلام، وقد ذكر جزءاً منها أيضاً الدكتور أحمد شلبي، وذكر أنَّ هذه المقارنة ذكرها جمع من العلماء والباحثين؛ مثل: دوان، وإدوارد توماس، وكمال الدين الخواجة[٤].

ومما ذكره صاحب العقائد الوثنية عن قول الهنود في كرشنا: إنه ابن الله من العذراء ديفاكي؛ والدة الإله، وهو المخلِّص والفادي والوسيط،

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٤٨).
(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٥٢).
(٣) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٥٣).
(٤) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٨٢ – ١٨٧).

والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وأنه صلب فداء للبشرية، وأنه قام بعد صلبه وموته، ورفع إلى السماء أمام الكثيرين من الناس[١].

ومما ذكره عن قول الهنود في بوذا: إنه ابن الله، ولد من مايا العذراء؛ والدة الإله، بعد حلول روح القدس في العذراء، يوم الخامس والعشرين من ديسمبر، وأنه كان يقول لتلاميذه: لتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا عليّ ليخلص العالم من الخطيئة. وأنه قدَّم نفسه ذبيحة لتكفير آثام البشر، وسيجعلهم ورثاء ملكوت السماء، وأنه جاء لتخليص الناس من الشقاء والعذاب، وأنه صعد إلى السماء بعد موته[٢].

ثم إنَّ الذي نقل هذه المعتقدات الوثنية والفلسفية للديانة النصرانية، هو الرجل الذي نذر نفسه منذ ظهور فجر المسيحية في محاربتها والنيل منها، فلا تكاد توجد عقيدة محرفة في الديانة النصرانية إلا وله بصمة فيها، ولا يكاد يَذكر علماء مقارنة الأديان النصرانية إلا ويُذْكَر ما فعله هذا الرجل فيها وفي طقوسها.

فالحقيقة التي لا يستطيع عاقل تغطيتها أنَّ الديانة المسيحية بعد رفع المسيح بزمن قليل غُيرت عقائدها وشعائرها فأصبحت بولسية بعد أنْ كانت عيسوية.

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٥٧ ، ٦٠ – ٦١ ، ١١٩ – ١٣١).

(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد الطاهر التنير (ص ٦٢ – ٦٥ ، ١٣٢ – ١٤٦).

وأقصد ببوليسية: النسبة لذلك الرجل الذي غير مسار النصرانية، وهو الرسول أو القديس بولس على حد تعبير النصارى، والمعروف قبل دخوله للنصرانية لتخريبها من الداخل بشاول اليهودي.

فهذا الرجل تدرج في نشأته - كما يذكر شارل جنيبير أستاذ تاريخ الأديان بباريس - بين أحضان مزيج من المفاهيم والأفكار والأساطير اليهودية والوثنية والفلسفية الشرقية والغربية، وأنَّ رسائله ناطقة بالكثير من ذلك[١].

فهو« منشئ المستقبل» أي مستقبل النصرانية؛ وذلك على حد تعبير جنيبير[٢]، وهو مبتدع فكرة المنقذ والفادي كما أعلنها بكل جراءة الأب بولس إلياس الخوري حينما قال: « ومما لا ريب فيه أنَّ الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبَّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة» [٣].

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير (ص ٣٩ ، ٥١ ، ٦٧ - ٧٠ ، ٨٢- ٨٨ ، ٩١ – ١١١)، وانظر أيضاً في الحديث عن بولس وأثره في النصرانية : محاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٨٥ – ٩١)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١١١ – ١٣٠ ، ١٤٦ – ١٤٧، ١٦١)، وانزعوا قناع بولس عن وجه المسيح لأحمد زكي (ص٧٢-٧٦)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (ص ٢٧–٣٠)، ومسيحيون أم بولسيون؟ لمحمد عفيفي (ص٨–١٥)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص٢٢٢– ٢٣٠)، والعبادات في الأديان السماوية لعبد الرزاق رحيم (ص ٢٠٢ – ٢٠٥)، وتحريف رسالة المسيح لبسمة جستنيه (ص ١٣١ – ١٧٣).

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها (ص ١٢ ، ٨٤).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦١).

وعن ديانة بولس وتأثره بالثقافات الأجنبية في معتقداته، وعن الفكرة التي كان يدندن دوماً حولها؛ أعني فكرة المنقذ والفادي، وتحمل يسوع الرب آثام البشر المنتقلة إليهم من أبيهم آدم، يحدثنا أحد مؤرخي الأديان وهو المؤرخ ولز « Wells » قائلاً: « كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط، ولا سمعه يبشر الناس، وكان اسم بولس في الأصل شاول، وكان في بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد، ثم أعتنق المسيحية فجأة، فغير اسمه فجعله بولس، وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية، وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهي فكرة ملكوت السماوات، ولكنه علَّم الناس أنَّ عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط؛ بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية »[1].

ويقول أيضاً: « من الراجح جداً أنَّ بولس تأثر بالمثرائية، إذ هو يستعمل عبارات قريبة الشبه بالعبارات المثرائية، ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل، أنَّ ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نسب لعيسى من أقوال وتعليم، ألا وهي فكرة

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٤٦).

الشخص الضحية؛ الذي يُقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة، فما بشر به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أمَّا ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة؛ ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة »[1].

فمما سبق يتبين لنا إذاً: إنَّ ما يعتقده النصارى في فكرة توريث الذنب، ومؤاخذة الغير به، وطريقة تكفيرة، هي فكرة وعقيدة وثنية، كانت منتشرة متفشية عند عدد من الوثنيات والفلسفات الشرقية والغربية قبل المسيحية.

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١١٥).

المبحث الثالث
التناقضات والمؤاخذات على عقيدة النصارى
في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره

بعد أنْ عرفنا في المبحث السابق أنَّ معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره تسرب للعقيدة النصرانية من الفلسفات الشرقية والغربية، والعقائد الوثنية، نتطرق في هذا المبحث – بإذن الله تعالى – إلى بيان التناقضات والمغالطات والمؤاخذات التي تعتري هذا المعتقد.

وهذه المآخذ والمطاعن منها ما يبين مدى التناقض والاضطراب بين نصوص كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد، ومنها ما يبين تناقض معتقدات النصارى الواردة في كتبهم المقدسة، ومنها ما يبين مخالفة معتقدهم لكثير من القضايا العقلية البدهية التي تعد عند أصحاب العقول السليمة من المسلمات والبدهيات، ولنشرع الآن في بيان هذه التناقضات والمآخذ والمغالطات، وذكرها على جهة التفصيل والإيضاح، وهي على النحو التالي:

أولاً: يلزم النصارى – وذلك لإيمانهم بالعهد القديم كإيمانهم بالعهد الجديد – ما تم ذكره في المبحث الثاني من الفصل السابق عند بيان عقيدة اليهود في توريث الابن ذنب أبيه وتناقضها مع الأساس الذي عليه اليهود من أنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، وذلك قبل أنْ يعتري هذا الأساس التحريف والتبديل.

ثانياً: يلزم النصارى أيضاً جميع المآخذ والمطاعن التي تم ذكرها في المبحث المشار إليه سابقاً في أثناء ذكر النصوص التوراتية التي تحدثت عن

دخول داود عليه السلام في جماعة الرب من عدمها، وأنه وأحفاده من بعده ومنهم المسيح عليه السلام، هم من نسل فارص بن يهوذا بن يعقوب؛ ابن السفاح والزنى الذي تم - كما يعتقدون وينطق به كتابهم - بينه وبين « ثمار » زوج أبنائه؛ عير وأونان وشيله، والنصوص التي تحدثت أيضاً عن سكر نبي الله نوح عليه السلام وكشف عورته، وتحميله البري جرماً لم يقم به، والنصوص التي تحدثت عن تعدي شكيم بن حمور الحوي على بيت نبي الله يعقوب، وزناه بابنته دينة من زوجه لئية، وما أسفرت عنه القصة المختلقة من تجاوزات وافتراءات.

ثالثاً: إنَّ معتقد النصارى هذا يتناقض مع العدل الإلهي الذي قام عليه الكون، وذلك بقولهم: إنَّ الله الحكم العدل عاقب الأبناء والذراري بفعل أبيهم الأول، ففي أي شرع وأي ملة يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد؟! فالله عز وجل الحكم العدل كما هو معلوم ومقرر يعاقب الإنسان على فعله لا فعل غيره[١].

وهذ ما قرره - كما مر بنا سابقاً - كتاب النصارى المقدس في عهده القديم؛ حيث جاء في سفر التثنية: « كُلُّ إنسانٍ بخطيئتهِ يُقتلُ »[٢]، وفي سفر أخبار الأيام الثاني: « بل كُلُّ واحدٍ يموتُ لأجلِ خطِيَّتِهِ »[٣]، وفي سفر إرميا: « بل كُلُّ واحدٍ يموتُ بذنبهِ »[٤]، وفي سفر حزقيال: « الابن لا يحمل

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢-١٦٣).
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٤، الفقرة ١٦ .
(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٢٥، الفقرة ٤ .
(٤) سفر إرميا، الإصحاح ٣١، الفقرتان ٢٩ – ٣٠ .

من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برُّ البارِّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون» [١].

وهذا التناقض نجده واقعاً أيضاً مع بعض نصوص العهد الجديد، التي جاء فيها: إنَّ الإنسان من فمه يدان؛ حيث جاء في إنجيل متى عن المسيح أنه قال: « الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخْرِجُ الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخْرِجُ الشرور، ولكن أقول لكم: إنَّ كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعْطُونَ عنها حساباً يوم الدين؛ لأنك بكلامك تَتَبَرَّرُ وبكلامك تُدَانُ » [٢].

رابعاً: إنَّ مؤاخذة المسيح عليه السلام وهو البري الذي ليس له في خطيئة أبيه آدم ناقة ولا جمل دون سبب وجيه هو الجور والظلم بعينه، وهو مناف لأبسط قواعد العدل والرحمة؛ التي انطلق منها معتقد النصارى هذا كما يزعمون، ويرد على هذا القول تساؤلات عدة، منها:

لماذا كان عيسى هو المسؤل عن خطيئة آدم دون غيره من البشر؟!.

وألا يعتقد النصارى أنَّ عيسى عليه السلام مكون من لاهوت وناسوت فهو بهذا التكوين - الذي لا نقره - مخالف لطبيعة آدم وذريته، فكيف يعاقب شخصاً ليس من جنس المذنب وذريته؟!.

وأليس من العدل معاقبة آدم المذنب بدلاً من نقل وزر ذنبه لذريته، ثم معاقبة يسوع المسيح بصلبه وقتله فداء للبشرية وتكفيراً لذلك الذنب؟!.

---

(١) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرة ٢٠.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ١٢، الفقرات ٣٥-٣٧ .

وأليس من الأحكم والأعدل أنْ يحيي الله تعالى آدم، ويأمره بتقديم نفسه على الصليب تكفيراً عن خطيئته بدلاً من تقديم يسوع ابنه الوحيد؟!.

وما ذنب الأبناء في تحميلهم ذنب أبيهم آدم، ثم ينتظروا زمناً ليس بالقصير تحت شؤم الخطيئة حتى يأتي المنقذ فيمحها؟!.

وما ذنب الأطفال والرضع الذين لا حول لهم ولا قوة، ولم يميزوا بعد بين حلال وحرام، أو ضار ونافع؟! وكيف يكونون خطاة عصاة مدنسين بالخطيئة الموروثة وهم على هذه الحال من عدم الحول والقوة؟![1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومعلوم أنَّ إبراهيم كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه؛ فكيف يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد، هذا لو قُدِّر أنَّ آدم لم يتب؛ فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة؟! » [2].

إنَّ منتهى العدل في ذلك نجده منصوصاً عليه في القرآن الكريم، حينما ذكر الله عز وجل أنَّ آدم أخطأ عند أكله من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها؛ فعوقب على خطيئته تلك بالخروج من الجنة، وأخبر القرآن الكريم أنه بعد ذلك تاب وأناب؛ فتاب الله عليه، وغفر ذنبه، حيث يقول عز من قائل: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢ / ١١٦)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢، ١٦٥)، وانزعوا قناع بولس عن وجه المسيح لأحمد زكي (ص ١٢٣- ١٢٥)، وماذا يجب أنْ يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير للجبهان (ص ٥٠)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢١٢).

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١٠٧-١٠٨).

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[2].

وعقاب الله تعالى لآدم على مخالفته لأمر ربه نجده أيضاً في التوراة، التي يؤمن بها اليهود والنصارى على حدٍّ سواء؛ لكن نجد ذلك بصورة مختلفة نوعاً ما عمَّا هو موجود في الآيات السابقة من القرآن الكريم، لكنه وبكل تأكيد لم يكن على الصورة التي آمن بها النصارى؛ وهي وراثة البشرية لذنب آدم وتحمل المسيح لها بقتله الكفاري، فقد ورد في سفر التكوين من التوراة أنَّ آدم وزوجه نالا عقابهما على مخالفتهما؛ وهو إخراجهما من الجنة، حيث جاء في السفر ما نصه: « وأوصى الرب آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » [3]، وفيه أيضاً: « وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة، التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض

(١) سورة البقرة، الآيات ٣٥ – ٣٩ .

(٢) سورة طه، الآيات ١٢٠ – ١٢٣ .

(٣) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرات ١٦-١٧.

بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً[١] تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض أُخِذْتَ منها؛ لأنك من تراب وإلى تراب تعود »[٢]، وفيه أيضاً: « فأخرجه الرَّبُ الإله من جنة عدن؛ ليعمل الأرض التي أُخِذَ منها »[٣].

خامساً: النَّاظر في التوراة يجد أنَّ أصل الخطيئة لم يكن آدم عليه السلام كما يزعم النصارى؛ حيث ذكرت التوراة أنَّ المتسبب بالخطيئة هي الحية التي وسوست لحواء بالأكل من الشجرة، والتي قامت بدورها بإقناع زوجها آدم بالأكل من الشجرة[٤]، ومن خلال كلام التوراة هذا نورد أوجهاً عدة للرد على قول النصارى هذا:

أولها: مخالفة التوراة لمعتقد النصارى حول أصل الخطيئة.

ثانيها: أنَّ سبب الغواية والخطيئة هو الحية وليس آدم أو حواء.

ثالثها: نصت التوراة على معاقبة من تسبب بالخطيئة أو باشرها؛ فالحية بزحفها على بطنها، وحواء بحملها وولادتها وما يترتب على ذلك من ألم ونصب، وآدم بخروجه من الجنة، فلا داعي إذاً لوراثة البشرية لذنب أبيهم طالما أنَّ الذنب تم معاقبة أصحابه، وتاب فاعلوه.

---

(١) الحسك: نوع من أنواع النبات، كثير الشوك، يعوق العمل، عادة ما تتعلق ثمرته ذات الثلاث شعب بصوف الماشية.

انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٣ / ٢٩٨)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ٥٢٩).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرات ١٧-١٩.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرة ٢٣.

(٤) انظر: سفر التكوين، الإصحاح الثالث.

رابعها: أنَّ المتسبب في الذنب على الحقيقة هو إبليس الذي لم تحمله التوراة سبب الغواية، حيث وجدناها حملته الحية.

سادساً: إنَّ من الأمور المسلم بها في جميع الشرائع وعند جميع أصحاب العقول تناسب العقوبة مع الجرم والمخالفة، فهل هذا التناسب والتوازن والتناسق نجده واقعاً بين خطيئة آدم، وتحمل المسيح لها، وصلبه وقتله من أجلها كما يعتقد النصارى؟!.

شتان بين العقوبة والمخالفة عندهم، فشخص يأكل من شجرة نُهي عن الأكل منها؛ فيعاقب غيره بالقتل والصلب في وضح النهار، أمام العيان، بتأييد وتخطيط من إله السماء زعموا!!.

إنَّ منتهى العدل والتناسق بين المخالفة والعقوبة وجدناه في الآيات السابقة التي ذُكر فيها قصة آدم وأكله من الشجرة من أجل نيل الخلد والملك الذي لا يبلى بعد وسواس وتزيين من الشيطان، وذلك في العقوبة التي نالها هو وزوجه وهي خروجهما من الجنة حتى حين[1]، والتي لا تختلف كثيراً عمَّا هو منصوص عليه في سفر التكوين من التوراة التي يؤمن بها النصارى كما تقدم، مع اعتقادنا كما جاء في القرآن بأنه لما تاب وأناب تاب الله عليه، ومن تاب الله عليه يبدل سيئاته حسنات، وكان ممن نال حب الله وتقديره.

قال سبحانه وتعالى عن مصير من تاب بعد معصيته لربه: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٥).

أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[٣].

وقال سبحانه عمن تاب من الذنب والحوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٤].

سابعاً: إنَّ زعم النصارى بأنَّ الله كي يجمع بين عدله ورحمته في خطيئة آدم وتعديتها لأبنائه، وتدبيره طريقة الكفارة والفداء والخلاص، وهي تحمل ابنه للآثام وكفارته لها بصلبه وموته؛ هو اتهام لله تعالى بالعجز والضعف، حيث إنه لما عجز عن مغفرة الذنب دبَّر هذا الفداء.

والسؤال الذي يطرح نفسه: من يا ترى الذي ألزم الله ديان السماوات والأرض كي يقوم بهذا التوفيق والتلفيق على حد زعمهم؟![٥].

ثامناً: في معتقد النصارى هذا وصف لله بالعجز وعدم الرحمة حينما جعل ابنه وصفيه على حد زعمهم يلاقي ألواناً من العذاب والسخرية

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٤ .

(٢) سورة النساء، الآية ١١٠ .

(٣) سورة الفرقان، الآيتان ٧٠ – ٧١ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٥) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٨٩)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢).

والألم، وهو يستغيث وينادي بأعلى صوته، فعلى حد تعبير إنجيل متى كان يصرخ قائلاً: « إيلي إيلي لما شبقتني؛ أي إلهي إلهي لماذا تركتني» [(١)]، وعلى حد تعبير إنجيل مرقس كان يقول: « ألوي ألوي لما شبقتني. الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني»[(٢)]، فأين الرحمة والعاطفة الأبوية حسب زعمهم؟![(٣)].

قال الإمام الطوفي في أثناء رده على حادثة الصلب وبنوة المسيح: « الواحد من المخلوقين يستفرغ جاهه وماله وقوته في خلاص ابنه من ضرب عشرة أسواط؛ فما ظنك بالله الذي إنقاذ من أراد إنقاذه عنده من أيسر الأشياء » [(٤)].

وصدق أبو العلاء المعري حينما قال عن معتقد النصارى هذا:

عجباً للمسيح بين أناسٍ ... وإلى الله والـــــدٍ نَـــــسَبُوه
أسلمتْهُ إلى اليهود النصارى ... وأَقــــرُّوا بـــأنّهم صَـــلَبُوه
يُشْفِقُ الحازمُ اللّبيْبُ على ... الطفـل إذا مَـا لداتـه ضربُـوه
وإذا كان ما يقولون في ... عيسى صحيحاً فأين كان أبـوهُ؟
كيف خَلّى وَلِيْدَهُ للأعادي ... أمْ يظنّـــون أنّهـــم غَلَبُـــوه
وإذا ما سألت أصحابَ ديـنٍ ... غـيروا بالقيـاس مـا رتّبـوه

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الفقرة ٤٦.
(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٥، الفقرة ٣٤.
(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢).
(٤) التعليق على الأناجيل الأربعة (ص ٢٤٩).

لا يدينون بالعـقول ولـكنْ بأباطيل زُخـرُفٍ كـذَّبـوه[١]

تاسعاً: في هذا المعتقد أيضاً وصف لله تعالى بعدم الرحمة ومغفرة الذنب؛ وذلك حينما لم يرض إلا بالقتل وسفك الدم، مع أنه سبحانه وتعالى واسع المغفرة كثير الرحمات[٢].

عاشراً: في هذا المعتقد أيضاً وصف لله تعالى بأنه كان فاقداً للعدل والرحمة آلاف السنين؛ أي منذ خطيئة آدم حتى صَلب المسيح الكفاري، فأين هو عدله ورحمته طوال تلك المئين من السنين؟ وكيف يُستساغ أنْ نعتقد أنه كان مضمراً السوء آلاف السنين حتى إتمامه لتمثيلية صلب ابنه يسوع المسيح، وما الحكمة من هذا التأخير والتأجيل[٣].

الحادي عشر: يلزم من قول النصارى هذا أنَّ الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب لا يستطيع غفران الذنب، ولو فعل ذلك لكان غير عادل، فلا يجتمع عندهم العدل مع مغفرة الذنب، فالعدل عندهم معناه وجوب معاقبة المخطئ وأنْ لا يُغفر ذنبه، والمغفرة معناها عندهم عدم معاقبته؛ فهو إنْ فعل ذلك عندهم غير عادل[٤].

---

(١) انظر: اللزوميات للمعري (٢ / ٢٢٧ – ٢٢٨)، وانظر هذه الأبيات أيضاً في: الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص ٥٩)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي (ص ٤١٩)، والنصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى (ص ١١٧).

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢).

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٥). وماذا يجب أنْ يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير للجبهان (ص ٥١).

(٤) انظر: ملكوت الله في اليهودية والنصرانية والإسلام لعبد المجيد الجندي (ص ١٢٣).

الثاني عشر: في هذا المعتقد أيضاً وصف لله بالحيرة، وعدم المعرفة، وعدم البت في الأمور والفصل فيها إلا بعد التخبط؛ حيث ظل فترة طويلة من الزمن يبحث عن طريقة للخلاص والمصالحة مع البشرية[١].

الثالث عشر: إنَّ ما قام به يسوع المسيح من تضحية وفداء من أجل البشرية وذلك بإرادة منه ومن أبية الآب وبطيب خاطر منهما كما يعتقد النصارى يناقض ما جاء في أناجيل النصارى من طريقة القبض عليه، وتضجره وندمه وصراخه وقوله منادياً: « يا أبتاه إنْ أمكن فلتعبر عني هذه الكأس» [٢]، وقوله: « إيلي إيلي لما شبقتني؛ أي إلهي إلهي لماذا تركتني» [٣]، واستغاثاته واستفهاماته الأخرى التي أطلقها في أثناء القبض عليه، أو عند المحاكمة، أو عند الصلب والتنفيذ[٤]، بل قوله لبيلاطس؛ وال الرومان على اليهود[٥] قبل الصلب عمن أسلمه:«الذي أسلمني إليك له خطية أعظم»[٦]، فكيف يقول إنه سيجود بنفسه ونجده عند الحاجة يبخل بها بل يصرخ ويستغيث ويبكي؟!.

ثم هل يوجد إله يفعل تلك الاستغاثات والتوسلات وبيده الأجال والأرزاق سبحانك ربي هذا بهتان عظيم؟!.

---

(١) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢١٢).

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، الفقرة ٣٩.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الفقرة ٤٦.

(٤) انظر: إنجيل متى، الإصحاحات ٢٦–٢٨، وإنجيل مرقس، الإصحاحات ١٤-١٦، وإنجيل لوقا، الإصحاحات ٢٢-٢٤، وإنجيل يوحنا، الإصحاحات ١٨-٢١.

(٥) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص ٢٠٧-٢٠٨).

(٦) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩، الفقرة ١١.

الرابع عشر: ما يقوله النصارى من أنَّ المسيح فعل ما فعله من أجل البشرية كان برضاه لا يستقيم وغير مقبول، وذلك لما فعله من صراخ ورفض كما تقدم، ولما هو مقرر في جميع الشرائع من حفظ النفس وعدم جواز رميها للتهلكة، وما يقوله النصارى في حق يسوع هو في الحقيقة إلقاء للنفس في التهلكة وعدم الحفاظ عليها[1].

الخامس عشر: إنَّ ما فُعل بالمسيح ابن الله من قتل وإهانة وصلب كما يعتقد النصارى من أجل تكفير خطيئة آدم الموروثة هو في الحقيقة أكبر وأفظع وأبشع من الخطيئة نفسها؛ وهي الأكل من الشجرة، فهذا صنيع لا يرضاه أحد أنْ يُفعل مع أي إنسان على وجه الأرض، فما البال والمفعول به ذلك ابن الإله على حد زعم قائليه!!.

السادس عشر: إنَّ يسوع المسيح كما يعتقد النصارى هو أحب وأقرب إلى الله من غيره؛ فهو ابنه الوحيد، وإذا كان الأمر كذلك فهل يعقل أنْ يفتدي الله الذبيح إسماعيل؛ عند أكثر أهل الإسلام، وإسحاق؛ عند أهل الكتاب، بكبش وينقذه من الموت، ولا يفتدي ابنه الوحيد الحبيب القريب الذي كان يئن ويصرخ ويستغيث ويندب؟! فأي رحمة وأي عطف عند إله النصارى الذي يصورون؟!!.

السابع عشر: إنَّ سبب قيام الله عز وجل - كما يعتقد النصارى - بدفع ابنه المسيح للقتل والصلب تكفيراً لذنوب العباد هو محبة الله للعالم؛ فهل من المعقول أنْ يحب الله العصاة الخطاة من البشر أكثر من حبه لابنه الوحيد؟!

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٢).

بل يرضى ويسمح، بل يدبر قتله وإهانته والنيل منه؟! وهل لا يستطيع الله أنْ يظهر حبه إلا بهذه الطريقة الدموية؟!.

صدق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حين وصف هذا المعتقد بأنه خرافة، وأنه يعدُّ من مضاحك العقلاء[١].

الثامن عشر: إذا كان ما تم في قصة فداء المسيح وصلبه عملاً درامياً تمثيلياً مصطنعاً حسب ما صورته لنا عقيدة النصارى؛ فالسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يكره المسيحيون اليهود، ويرونهم آثمين معتدين على يسوع المسيح، طالما أنَّ العمل جملة وتفصيلاً كان بتدبير من الإله وابنه من أجل إنقاذ البشرية من الخطية الموروثة؟!!.

فالأولى شكر اليهود والرومان والواشي بالمسيح على ما قدموه لله من طاعة نفذوا بها إرادة الله، وعلى ما قدموه للبشرية من خلاص نالوا به العفو والصفح، بدلاً من كراهيتهم وبغضهم وتحميلهم دم ابن الله يسوع.

فإنَّ موقف النصارى هذا من اليهود والرومان ليس من حسن الوفاء، وليس فيه شيء من رد الجميل لأهله!![٢].

التاسع عشر: إذا كان ابن الله يسوع المسيح جاء من أجل الفداء والتكفير عن خطيئة آدم والبشر؛ فلماذا لم تكن عملية فدائه وصلبه سهلة ميسرة، بعيدة عن العنف والحقد؟!.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٢ / ١٠٨).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢ / ١١٢)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٣)، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص١٢١)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢١٣).

بدلاً من عملية الفداء المعقدة؛ التي اشتملت على صراع وقبض ومحاكمة وسفك دماء وأحقاد وقتال طويل الأمد بين شعبين من البشر.

ولماذا لم ينزل ابن الله مباشرة في مظهر الإنسان دون أنْ يمر بتعقيدات الرحم والولادة[١].

العشرون: يزعم أصحاب هذا المعتقد أنَّ أنبياء الله الأطهار عليهم الصلاة والسلام كلهم خطاة عصاة مدنسون بخطيئة آدم، بل وجدناهم اتهموا كثيراً منهم بفظائع الأمور وكبير الفواحش والآثام[٢]، وقد صرح بذلك وبكل جرأة وتعدي كما تقدم القمص زكريا بطرس حينما قال: «النبي مخلوق محدود، وهو أيضاً ليس طاهراً. إذ أنه من نسل آدم الذين تلوثت دماؤهم بجراثيم الخطية! » [٣].

الحادي والعشرون: يزعم النصارى – كما تقدم - أنَّ طريق الخلاص الوحيد من معصية آدم وآثام البشرية الموروثة هو ما فُعل بالمخلِّص الفادي المسيح من قتل وصلب، وأنَّ ذلك الخلاص لا يتم إلا من هذا الطريق مهما عُمل من عَمل صالح، ومهما حدث من توبة وإنابة وتضرع، وأنه لا توجد وسائل أخرى يغفر الله بها خطيئة البشر؛ مع استطاعته وقدرته أنْ يفعل ما يريد، وعلى حدِّ تعبير بولس في رسالته إلى أهل رومية: « أجرة الخطية هي

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٦-١٦٧)، ومقارنة الأديان لطارق السعدي (ص ١٨٢).

(٢) انظر: الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٣) حتمية الفداء (ص ٦).

موت » [١]، وعلى حدِّ تعبيره في رسالته إلى العبرانيين: « لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » [٢].

فزعمهم هذا ليس من الحكمة في شيء، وفي هذا يقول الدكتور أحمد شلبي معلقاً على قول القس بولس سباط الذي تقدم ذكره والذي قرر فيه هذا الزعم: « ونصرخ في وجه هذا الكاتب: أنه ليس من الحكمة في أي شيء أنْ نفتدي بدينار ما نستطيع أنْ نفتديه بفلس، تعالى الله عن ذلك» [٣].

ويقول الإمام نجم الدين الطوفي بعد أنْ وصف هذا الزعم بالخرافة في أثناء تعليقه على إنجيل متى: « إنا وأياكم متفقون على أنَّ الباري سبحانه قادر كامل القدرة، وبقدرته احتججتم على جواز كونه ذاتاً لها ثلاثة أقانيم؛ كالزُّبْرَة المحماه؛ ذات الحديد والنار والشرر، والشمس؛ ذات الجرم والنور الفائض والشعاع...وإذا كان قادراً مختاراً فأي حاجة به إلى أنْ يتجسد، ثم يجود بنفسه، ويسلمها للصلب؛ ليفتدي بني آدم من النار، هذا شأن العاجزين لا القادرين، وإنْ كان فعل هذا مع قدرته؛ فهو طعن في حكمته، إذ ذلك عبث مع إمكان الاستغناء عنه» [٤].

ثم إنَّ هذا الزعم يناقض الكثير من نصوص العهدين من الكتاب المقدس؛ التي دلت دلالة واضحة على أنَّ غفران الذنوب يتمُّ عن طريق التوبة إلى الله، والعودة إليه، وتقديم الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٦ ، الفقرة ٢٣ .

(٢) الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ٩، الفقرة ٢٢ .

(٣) المسيحية (ص ١٦٣).

(٤) التعليق على الأناجيل الأربعة (ص ١٦٧-١٦٨).

الطالحة، وذلك على عكس ما تمَّ ذكره هنا من أنَّ ذنوب العباد والخطيئة الموروثة الكبرى لن تغفر إلا بصلب وسفك دم يسوع ابن الله الوحيد!!

ومن تلك النصوص الواردة في كتبهم والتي تناقض هذا الزعم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ما جاء في أول مزمور من المزامير المنسوبة لداود عليه السلام من أنَّ الرب قال: « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس، لكن في ناموس الرب مسرَّته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً » (١).

وما جاء في سفر حزقيال عن ترك الذنوب وعمل الطاعات، وأنه بسببهما يدان الإنسان؛ حيث جاء في السفر: « بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كلَّ فرائضي، وفعل حقاً وعدلاً؛ فحياة يحيا لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. في بره الذي عمل يحيا» (٢).

وما جاء فيه من أنَّ الرب قال: « توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم، ولا يكون لكم الإثم مهلكة، اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً، وروحاً جديدة » (٣).

وما جاء في إنجيل متى من حث المسيح لأتباعه على الأعمال الصالحة التي تقود لدخول الجنة، حيث جاء فيه: « وإذا واحدٌ تقدَّم وقال له: أيها

---

(١) المزمور الأول، الفقرات ١-٢.

(٢) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرات ٢٠-٢٢.

(٣) سفر حزقيال، الإصحاح ١٨، الفقرات ٣٠-٣١.

المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد؛ وهو الله، ولكن إنْ أردت أنْ تدخل الحياة؛ فاحفظ الوصايا. قال له أيَّةَ الوصايا. فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتي، فماذا يُعْوِزُنِي بعد. قال له يسوع: إنْ أردت أنْ تكون كاملاً؛ فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني» (١).

وما جاء في إنجيل متى أيضاً من قول الملك يوم القيامة لشعوب الأرض؛ من أنه بسبب أعمالهم الصالحة تمَّ دخولهم الجنة، وبسبب الطالحة تمَّ دخولهم النار، لا بسبب الفداء والصلب كما يزعمون، ونص ما في الإنجيل هو: « ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رِثُوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم، لأني جُعتُ فأطعمْتُمُوني، عطِشتُ فسَقَيْتُمُوني، كنتُ غريباً فَآوَيْتُمُوني، عرياناَ فَكَسَوْتُمُوني، مريضاً فَزُرْتُمُوني، محبوساً فأتَيْتُم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذٍ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطْعمناك. أو عطشاناً فسَقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتُمُوه بأَحد إخوتي هؤلاءِ الأصاغِرِ فَبِي فعلْتُم. ثم يقول للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٩، الفقرات ١٦-٢١.

الأبدية الْمُعَدَّةِ لإبليس وملائكته، لأني جُعتُ فلم تُطعِمُونِي، عطشتُ فلم تَسْقُونِي ... فيمضي هؤلاءِ إلى عذابٍ أبديٍّ، والأبرار إلى حياة أبديَّةٍ »[١].

وما جاء في موعظة الجبل الشهيرة، التي ذُكرت مطولة في ثلاثة إصحاحات من إنجيل متى[٢]، ومختصرة في إصحاح واحد من إنجيل لوقا[٣]، مع وجود بعض الاختلاف عما هو موجود عند متى، ولم يتطرق لها أصحاب الأناجيل الأخرى[٤]! فقد جاء في هذه الموعظة التي تعدُّ من أحكم خطب المسيح[٥] الواردة في الأناجيل العديد من الوصايا والأعمال والأحكام والأداب، التي رتب على من قام بها دخول الجنة، والحياة الأبدية فيها، والأجر الجزيل، كما ورد فيها العديد من الأعمال والخطايا، التي حُذر الإنسان من الوقوع فيها، ومن وقع فيها فإنها طريقه إلى النار والشقاء.

وما جاء في سفر أعمال الرسل من أنَّ التوبة ماحية للذنب، حيث جاء فيه: « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرَّب »[٦].

وما جاء في رسالة يوحنا الأولى والتي صرحت بكل وضوح: أنَّ من لم يحفظ ويعمل بوصايا المسيح لا يعد عارفاً له مؤمناً به، ونص كلام الرسالة

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٥، الفقرات ٣٤-٤٦.

(٢) انظر: إنجيل متى، الإصحاحات ٥، ٦، ٧.

(٣) انظر: إنجيل لوقا، الإصحاح ٦، الفقرات ١٧-٤٩.

(٤) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن باجه جي زاده (ص ٧٤-٧٦).

(٥) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن باجه جي زاده (ص ٧٥).

(٦) أعمال الرسل، الإصحاح ٣، الفقرة ١٩.

هو: « وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إنْ حفظنا وصاياه، من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه» (١).

وما جاء أيضاً في رسالة يعقوب الحواري من وجوب العمل وأنه داخل في مسمى الإيمان، حيث قال: « هكذا الإيمان أيضاً إنْ لم يكن له أعمال مَيِّتٌ في ذاته» (٢).

وقوله في نفس الرسالة: « لأنه كما أنَّ الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان بدون أعمال ميت » (٣).

وما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية وبكل وضوح وصراحة: « من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تَذْخَرُ لنفسك غضباً في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » (٤).

وقد ذكر علماء النصارى العديد من الطقوس والشعائر التي إنْ قدمت ينال بها الإنسان مغفرة الذنوب والآثام، بعكس ما قيل من أنَّ الذنوب والآثام لا تغفر ولا تزال إلا عن طريق الفادي والمخلِّص بواسطة ما قام به من صلب.

يقول الارشمندريت إلياس؛ رئيس دير مار جرجس في أثناء حديثه عن تحديد سر التوبة؛ أحد أسرار الكنيسة السبعة: « هو السر الذي بواسطته

---

(١) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٢، الفقرات ٣-٤.

(٢) رسالة يعقوب، الإصحاح ٢، الفقرة ١٧.

(٣) رسالة يعقوب، الإصحاح ٢، الفقرة ٢٦.

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٢، الفقرات ٥-٦.

ينال المؤمن من الله نفسه غفران خطاياه الشخصية، التي يعترف بها أمام الكاهن بتوبة وندامة » [١].

ويقول أيضاً في تحديد سر المسحة:« هو السر الذي يعطي بصلوات الكاهن ومسحة الزيت المقدس، النعمة الإلهية؛ لشفاء الأمراض، والعجز الجسدي، والنفسي، ومغفرة الخطايا، وتقوية النفس في الإيمان والرجاء»[٢].

وجاء في بيان ليما (LIMA)[٣] عن سر المعمودية: « بالمعمودية يغطس المسيحيون في موت المسيح الخلاصي؛ حيث تدفن خطاياهم، وحيث يصلب آدم القديم مع المسيح، وحيث تحطم قوة الخطيئة » [٤].

وهذا البيان استند على مثل ما جاء في سفر أعمال الرسل: من أنه بالمعمودية يحصل غفران الخطايا[٥].

وجاء في نص الغفران المُعْطَى من الكنيسة لأتباعها عن طريق القسس أنَّ بأيديهم غفران الذنوب ومحو الآثام، حيث ورد في نص الصك من قول القسيس للمعترف بالذنب ما نصه: « وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي

---

(١) العبادة المسيحية (ص ٨٨).

(٢) العبادة المسيحية (ص ١٠٥).

(٣) بيان ليما هو: نسبة لمدينة ليما في البيرو، صدر البيان في كانون الثاني من عام (١٩٨٢م) عن مائة من علماء اللاهوت النصارى، من مختلف الأطياف والفرق والكنائس النصرانية، تحت إشراف مجلس الكنائس العالمي، وهو بيان لاهوتي، جاء نتاج رحلة مسكونية عالمية، استمرت خمسين سنة، حول دراسة التقارب النصراني في الخدمات الكهنوتية (المعمودية والأفخارستيا والكهنوت).
انظر: المعمودية الأفخارستيا والكهنوت " بيان ليما "، تعريب الأب ميشال نجم (ص ٩ - ١٩).

(٤) المعمودية الأفخارستيا والكهنوت، تعريب الأب ميشال نجم (ص ٥٢).

(٥) انظر: أعمال الرسل ليوحنا، الإصحاح ٢، الفقرة ٣٨.

أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة» [١].

ويقول سبينوزا في أثناء حديثه عن الأعمال ودخولها في الإيمان: « لا يمكن الحكم على أحد بأنه مؤمن أو غير مؤمن إلا بأعماله ... لأنه إذا وجدت الطاعة وجد الإيمان بالضرورة، والأعمال دون الإيمان مائت » [٢].

والسؤال الذي نكرره مراراً وتكراراً ما فائدة صلب المسيح الذي به تم تكفير ذنوب العالم وذنب آدم الموروث بعد أن تحمَّل المسيح عنهم تلك الأوزار؛ طالما أنَّ الآثام والخطايا تغفر - كما قررناه هنا - بطرق أُخَر غير القتل والصلب وسفك الدم، فما هذا التناقض؟! وما هذه العقيدة البعيدة كل البعد عن العقل والحكمة؟! وصدق الدكتور أحمد شلبي حينما قال صارخاً على القس يوسف سباط: « ليس من الحكمة في أي شيء أنْ نفتدي بدينار ما نستطيع أنْ نفتديه بفلس » [٣].

فرحم الله المسيح ابن الله كما يعتقد القوم فإنَّ قتله وصلبه وسفك دمه كان عبثاً لا طائل تحته!!.

قال الإمام أبو البقاء الجعفري معلقاً على نص المزمور الذي تم ذكره قبل قليل: « فقد شهد المزمور أنَّ الاشتغال بقراءة كلام الله وعبادته مخلِّص

---

(١) انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للترجمان (ص ١٦٩ – ١٧٣)، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٢١٠)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ٢٥٥ – ٢٥٦).

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص ٣٥٨).

(٣) المسيحية (ص ١٦٣).

لصاحبه وأنَّ طوبى له، فلا حاجة إلى الخلاص بشيء آخر، وإلا فيلزم تكذيب داود في خبره عن الله تعالى، وقد قال التلاميذ للمسيح وسألوه من العظيم في ملكوت الله تعالى؟ فقال: « من تواضع مثل الصبيان فهو العظيم في ملكوت الله» [١]. فقد أخبر المسيح أنه لا حاجة إلى قتل وصلب بل من تواضع لله ولم يتكبر كفاه ذلك وخلصه» [٢].

الثاني والعشرون: يعتقد النصارى أنَّ بموت المسيح الكفاري محيت جميع الذنوب والآثام، كما قال يوحنا في رسالته الأولى: « يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإنْ أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوعَ المسيحِ البارِ وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » [٣]، وكما قال بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: « كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع » [٤]؛ ولكن هذا المعتقد نجد ما يناقضه من نصوص الكتاب المقدس نفسه، فقد جاء في إنجيلي متى ومرقس أنَّ بعض الذنوب والخطايا لا تغفر ولا تمحى عن فاعليها مهما كان، حيث يقول متى في إنجيله عن المسيح عليه السلام أنه قال: « لذلك أقول لكم كلُّ خطِيَّةٍ وتجديف[٥] يُغفر للناس، وأمَّا التجديف على الروح فلنْ يُغفر للناس، ومن

---

(١) انظر: إنجيل متى، الإصحاح ١٨، الفقرات ١-٤، وإنجيل مرقس، الإصحاح ٩، الفقرات ٣٤-٣٧.

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢ / ٦٣٦).

(٣) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٢، الفقرتان ١ – ٢ .

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٢ .

(٥) التجديف هو: الشتيمة والتكذيب، والكلام غير اللائق.
انظر: قاموس الكتاب المقدَّس (ص ٢٥٣).

قال كلمة عن ابن الإنسان يُغفر له، وأمَّا من قال على الروح القدس فلنْ يُغفر له؛ لا في هذا العالم، ولا في الآتي» [١].

الثالث والعشرون: نجد تناقضاً واختلافاً واضطراباً في نصوص كتاب النصارى المقدس من جهة تخليص المسيح للذنوب هل هي ذنوب جميع البشر، أو ذنوب بعضهم، أو هي ذنوب شعبه فقط المؤمنين به؟ فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى أنَّ التَّخليص عام لجميع ذنوب البشر؛ حيث يقول يوحنا كما تقدم: « وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» [٢]، ويقول أيضاً: « ونحن قد نظرنا ونشهد أنَّ الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم » [٣]، بينما نجد بعض النصوص تصرح بأنَّ التَّخليص خاص بذنوب بعض البشر، وبعضها خاص بخطايا شعب المسيح المؤمنين به وبقيامته فقط؛ حيث جاء في إنجيل متى عن مريم عليها السلام: « فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلِّص شعبه[٤] من خطاياهم » [٥]، وجاء في

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١٢، الفقرات ٣١-٣٢، وانظر في مثل هذا الكلام أيضاً: إنجيل مرقس، الإصحاح٣، الفقرات ٢٨-٣٠.

(٢) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٢، الفقرة ٢.

(٣) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٤، الفقرة ١٤.

(٤) يضم هذا القول لقول متى في إنجيله في الإصحاح (١٥) الفقرة (٢٤) عن المسيح أنه قال: " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " حيث يفهم منهما أنَّ دعوة عيسى عليه السلام خاصة لبني إسرائيل، وليست دعوة عامة كما يعتقدها النصارى بعد تخطيط وتدبير من بولس، وهذا الفهم هو مصداق لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (البخاري، كتاب التيمم، ج١، ص ١٢٨ ، ومسلم، كتاب المساجد، ج١، ص ٣٧٠)، ويقصد بالخلاص هنا هو تخليصهم من طريق الشر إلى طريق الخير، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الذنوب إلى الطاعات.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٤.

إنجيل مرقس: « لأنَّ ابن الإنسان أيضاً لم يأت لِيُخْدَمَ بل لِيَخْدُمَ ولِيَبْذُلَ نفسه فدية عن كثيرين » [١]، وفيه أيضاً: « من آمن واعتمد خَلَصَ، ومن لم يؤمن يُدَنْ» [٢]، وفي أعمال الرسل عن بطرس أنه قال: « كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » [٣]، ويذكر بولس في رسالته إلى أهل رومية أنَّ الخلاص يتفاوت بين المؤمنين به من جنس لآخر؛ حيث يقول: « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به لليهودي أولاً ثم لليوناني » [٤].

الرابع والعشرون: نجد اختلافاً واضطراباً أيضاً بين نصوص الكتاب المقدس من جهة الذنوب التي خلَّصها موت المسيح الكفاري، هل كان للذنوب السَّابقة السَّالفة قبل قضية الصلب، أو للسَّابقة واللاحقة؛ حيث جاء في رسالة بولس لأهل رومية أنَّ التَّخليص كان للذنوب السَّالفة؛ حيث يقول بولس: « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح. الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه؛ لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » [٥]، بينما نجد في نص يوحنا السابق أنَّ التَّخليص كان لجميع خطايا البشر، حيث قال: « وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل

---

(١) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٠، الفقرة ٤٥.

(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦، الفقرة ١٦ .

(٣) أعمال الرسل ليوحنا، الإصحاح ١٠، الفقرة ٤٣ .

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ١، الفقرة ١٦ .

(٥) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٣، الفقرتان ٢٤ – ٢٥ .

لخطايا كل العالم أيضاً »[١]، وقال أيضاً: « ونحن قد نظرنا ونشهد أنَّ الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم »[٢].

الخامس والعشرون: نجد اختلافاً واضطراباً واقعاً بين نصوص الكتاب المقدس أيضاً من جهة الخلاص هل كان عن خطيئة آدم فقط، وما ترتب عليها من وراثة البشرية لها، أو كان أيضاً عن خطايا البشر الأخرى؟ حيث نجد أنَّ بولس في رسالته للعبرانيين ذكر أنَّ موت المسيح كان للخلاص من خطيئة آدم الموروثة فقط، حيث يقول: « ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون، إذ صار موتٌ لفداء التعديات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي» [٣]، بينما نجد كثيراً من النصوص ذكرت أنَّ الخلاص كان عاماً لجميع ذنوب البشر كما مرَّ بنا في الفقرات السابقة.

السادس والعشرون: إنْ قلنا بقول بولس السابق وما عليه كثير من النصارى بأنَّ صلب المسيح كان بسبب خطيئة آدم الموروثة فقط، فهل من العدل قتل واحد من أجل معصية واحدة؛ وهي أكله من الشجرة، وترك بلايين الذنوب والخطايا التي اتصف كثير منها بالظلم والجور والتعدي في حق الله تعالى وحقوق خلقه دون قتل أو صلب أحد؟! وهل من العقل والمنطق أنْ يضحي الله بابنه لمحو خطيئة واحدة، ولا يضحي بأحد آخر من أجل ملايين الخطايا؟! فما العمل في الخطايا الأخرى إذاً؟! وأين عدل الله ورحمته من خطايا البشر الأخرى؛ الذي وُجِدَ كما يزعمون في خطيئة آدم؟!.

---

(١) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٢، الفقرة ٢.

(٢) رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح ٤، الفقرة ١٤.

(٣) الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح ٩، الفقرة ١٥.

وما أوهى ما أجاب به القس بولس سباط على هذه التساؤلات حينما قال: « إذا عاد الناس إلى إجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم» [(١)].

وإنْ قلنا بأنه صلب من أجل الخطايا الماضية فقط، فإنَّ هذا ليس من العدل أيضاً في شيء، وهو منتهى الجور والظلم، وهو مفتقد لأبسط قواعد العدل والرحمة، فما ذنب البري بأن يتحمل ذنوب الآخرين.

وإنْ قلنا بأنه صلب من أجل خطايا العالم بأسره سابقها ولاحقها؛ فالأمر أشد من سابقه، فهو مشتمل على الظلم والجور السابق الذكر في حق المسيح، ثم إنَّ هذا يعني إباحتها، وفيه دعوة صريحة للوقوع في الذنوب والآثام، وفيه إبطال لدعوة المسيح نفسه؛ بل لدعوات جميع الأنبياء والمصلحين، الذين دعوا إلى تزكية النفوس وتطهيرها من الشرك والرزايا والآثام، ثم يعترض عليه من جهة أخرى؛ وهي أنَّ تكفير الخطايا إذا أطلق فإنه يراد به ما وقع فيه الإنسان من ذنوب ماضية سابقة لا لاحقة لم تحدث بعد؛ فالتكفير في اللغة مأخوذ من كفر؛ أي: ستر وغطى[(٢)]، ويكون فيما وقع وحدث[(٣)].

السابع والعشرون: يلزم من معتقد النصارى هذا عدم وجود شريعة عندهم بعد صلب المسيح وموته الكفاري، فالشريعة أوامر ونواهٍ، وبموت المسيح الكفاري تلاشت هذه الأوامر والنواهي، كما أنَّ الخطيئة ذهبت

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٤).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥ / ١٤٤).

(٣) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢٠٦، ٢١١).

وتلاشت أيضاً، فالبشريعة أو الناموس -كما يقول بولس- تعرف الخطيئة، وبعدم وجود خطيئة لا وجود للشريعة[١]، ويقول عن المسيح والشريعة: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا» [٢]، وقال: « وأما الآن فقد تحررنا من الناموس » [٣]، وقال: « فإنَّ الخطيئة لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» [٤].

قال دافيد بنجامين الكلداني، أحد قساوسة الروم الكلدان، المسمى بعد إسلامه بعبد الأحد داود في أثناء حديثه عن مذهب بولس بأنْ لا شريعة أو خطيئة في ملكوت الله: « يمكن تلخيص تعليم بولص على هذا الوجه الآتي: ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب؛ ولكن المسيح أبطل الشريعة[٥] فبطل ارتكاب الخطيئة » [٦].

وقال أيضاً : « إنَّ التعليم الوحيد لبولص عبارة عن أنَّ دم المسيح صار كفارة أعتق العالم وخلصه من لعنة الشريعة ومن أسرها » [٧].

وقال أيضاً: « فنتيجة حكم بولص التي نوه بها هي: إنَّ المسيح أمات الشريعة لقتله، وفي إيصال الشريعة التي أحيت الخطيئة صارت الخطيئة لا

---

(١) انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٣، الفقرة ٢٠، والإصحاح ٧، الفقرات ٧-١٢.

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٣، الفقرة ١٣.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٧، الفقرة ٦.

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٦، الفقرة ١٤.

(٥) وذلك بتحمله الخطيئة الموروثة وصلبه من أجلها كما يعتقد النصارى.

(٦) الإنجيل والصليب (ص ١١٣).

(٧) الإنجيل والصليب (ص ١١٦).

تتسلط على المسيحي مرة أخرى، ثم أقام العناية والتوفيق بدلاً من الشريعة»[١].

الثامن والعشرون: يلزم من عقيدة النصارى هذه أنهم يعيشون في هذا الكون بلا قانون أو شريعة أو رادع، فهم يعملون ويفعلون ما يحلو لهم دون رقيب أو عتيد، لأنَّ الشريعة كما سبق لا وجود لها، ولأنَّ المسيح بموته الكفاري تحمل عنهم الذنوب والآثام.

وقد يقال ما انتشار الانسلاخ من كل معاني الفضيلة، والوقوع والغرق في الرذيلة، في ديار وأوطان النصارى؛ إلا دليل على أثر هذا المعتقد على النصارى ومجتمعاتهم، فالزنى وشرب الخمور والشذوذ وأكل الربا وأكل الميتة ولحم الخنزير والفراغ والتخبط الأسري والانسلاخ من العبادات والشعائر الإنجيلية كل ذلك وغيره دليل على أثر هذا المعتقد على حياتهم، وصدق الله القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[٣].

التاسع والعشرون: إنَّ ما قام به ابن الله يسوع المسيح حسب معتقد النصارى يعدُّ لا طائل منه ولا فائدة فيه ؛ حيث إنَّ خطيئة آدم ليست على بال أبنائه من بعده، فهي لا تقض مضاجعهم وتشغل أذهانهم، بل إنَّ ما يشغلهم هو ما يتعلق بهم أنفسهم من طاعات ومعاصٍ[٤].

(١) الإنجيل والصليب (ص ١١٧- ١١٨).

(٢) سورة البقرة، الآيتان ١١-١٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ٨٢ .

(٤) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢١١).

الثلاثون: سبق أنْ ذكرنا أنَّه ورد في سفر التكوين من التوراة أنَّ آدم وزوجه نالا عقابهما على مخالفتهما، ومما جاء في تلك العقوبة أنَّ الرب أوصى آدم قائلاً له: « من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت »[(١)]، فهذا يعني: أنَّه بسبب خطيئة آدم اجتاز الموت البشرية، والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لا يُرْفَعُ الموت عن البشرية بعد أنْ قام المسيح ابن الله بتكفير خطيئة آدم وخطايا البشرية من بعده؟!.

وسؤال أخر نطرحه على القوم؛ وهو: هل الموت الذي اجتاز البشرية كلها بسبب معصية آدم شمل جميع البشر أم بعضهم؟.

فالمفهوم من النص أنه يشمل آدم وذريته؛ لكننا نجد ما يناقض ذلك حيث ورد في سفر التكوين من أنَّ النبي أخنوخ المعروف عندنا بإدريس عليه السلام[(٢)] لم ير الموت وهو مع الله عنده[(٣)].

وسؤال أخير نطرحه: هل يعقل أنَّ الموت اجتاز البشرية بأكل آدم من الشجرة، وكان لها الحياة والعز والخلاص بقتل وصلب المسيح الذي يعدُّ أكبر بكثير من الأكل من الشجرة؛ لا سيما أنه كما يعتقد النصارى ابن الله ووحيده؟!.

الواحد والثلاثون: جاء في سفر التكوين من التوراة أنَّ الله أهلك بطوفان نوح عليه السلام جميع البشر إلا من آمن مع نوح وركب معه الفلك،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرات ١٦-١٧.

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٦٢).

(٣) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٥، الفقرات ٢١-٢٤.

وذلك بسبب الظلم والفساد الذي لحق بالأرض ومن فيها[١]، فيكون الله بذلك طهَّر الأرض من الخطيئة وأهلها؛ فلا حاجة إذاً لأنْ يأتي المسيح ليطهر البشرية من ذلك، كما أنَّ وقوع هذا الحدث هو في حقيقته فصل بين جيلين من البشر، فلو قيل هذا لكان أوجه من الصلب[٢].

الثاني والثلاثون: النَّاظر في إنجيل مريم المجدلية[٣] الذي ذكر كارل غوستاف يونغ مختارات منه في أواخر كتاب الأصول الوثنية للمسيحية[٤]؛ يجد نفي المسيح لوجود خطيئة موروثة، وإثباته أنَّ كل إنسان بعمله مرهون، وذلك في أثناء حوار قيل إنه جرى بين بطرس؛ كبير الحواريين، وبين المسيح المخلِّص، وهذا مما يبين لنا تناقضاً بين كتب القوم في هذا المعتقد، حيث جاء في الحوار أنَّ بطرس قال للمسيح: « ما دمت قد شرحت لنا كلَّ شيء قل لنا ما هي خطيئة العالم؟ »، فأجاب المخلِّص قائلاً له: « ليست هنالك خطيئة؛ لكنكم تخطئون حين تزنون، إنَّ الزنى هو الخطيئة، وقد جُبِل الإنسان على

---

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاحات ٦-٩ .

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٥).

(٣) هو إنجيل من الأناجيل غير المعتمدة ضمن كتاب النصارى المقدس، اكتشف أول ما اكتشف في مكتبة نجع حمادي، ويوجد منه نسختان؛ إحداهما باليونانية، والثانية بالقبطية، ينسب لمريم المجدلية؛ التي يرى النصارى أنها إحدى تلميذات المسيح الصالحات المقربات، كانت ممسوسة بالجان، فأخرج منها المسيح سبعة شياطين، وقد كانت مع المسيح وقت الصلب والدفن، وقد حدثها بعد قيامه من القبر، ويذكرون أنها من مجدلة الواقعة على الشاطئ الغربي من بحيرة طبرية، على بعد ثلاثة أميال شمال مدينة طبرية.
انظر: إنجيل مرقس، الإصحاح ١٦، الفقرة ٩، وقاموس الكتاب المقدس (ص ٨٤٢، ٨٥٨)، والأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٦٠).

(٤) الأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٥٨-١٦٤).

الخير والصلاح، لا تُستثنى من ذلك نفس واحدة، لكي تثوب إلى جبلتها الخيرة » [١].

الثالث والثلاثون: النَّاظر في نصوص كثير من كتاب النصارى المقدس يجد كلاماً كثيراً عن المسيح عليه السلام يُذْكَرُ فيه: أنه أُرْسِل لدعوة الناس للرجوع إلى الله، والتوبة إليه، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا يتناقض مع معتقد النصارى هذا؛ الذي ينص على أنَّ مجيء المسيح كان من أجل تكفير خطيئة آدم الموروثة وخطايا البشر الأخرى وذلك بذبحه على الصليب، ولا بأس بالتذكير بما قالوه في هذا، حيث يقول القس يوسف رياض: « الله لا يقبل طريق قايين مطلقاً؛ أعني طريق الاقتراب إلى الله بالأعمال. وهذا يقودنا للسؤال التالي: تُرى لماذا لا تصلح أعمالنا الصالحة للتكفير عن ذنوبنا؟» [٢] إلى أن قال: « وبالأسف الشديد يوجد اليوم الملايين في كل العالم؛ الذين يتبعون قايين في طريقه؛ أعني محاولة إرضاء الله ودرء غضبه ببعض الأعمال التي يتوهمون أنها أعمال صالحة، والتي يظنون أنها كافية للتكفير عن خطاياهم، وعنهم تقول كلمة الله: «ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين» [٣]، لا مفر إذاً من الطريق الذي رسمه الله؛ فالأعمال لا تصلح للتكفير، فهذه طريق قايين المرفوض، والعلاج أو بتعبير أدق: الكفارة بالذبيحة »[٤].

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية لأندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف (ص ١٦١).

(٢) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٢٧).

(٣) رسالة يهوذا، الفقرة ١١ .

(٤) الكفارة في المفهوم المسيحي (ص ٣٠).

ويقول القمص زكريا بطرس: « السيئة التي يرتكبها الإنسان لا يكفي أنْ يقدم عنها اعتذار، أو مجرد توبة، بل لابد من تقديم كفارة أو فداء أو ضحية حتى يمكن غفران الماضي » (١).

ومن النصوص التي تناقض هذا المعتقد ما جاء في إنجيل متى عن المسيح أنه قال: « فأذهبوا وتعلموا ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة؛ لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة »(٢)، وقوله فيه: « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (٣)، وقوله في إنجيل مرقس: « اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك »(٤)، وقوله في إنجيل لوقا: « افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال، أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب»(٥)، وفيه: « أقول لكم: إنْ لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (٦).

الرابع والثلاثون: إنَّ العهد القديم الذي يؤمن به النصارى لم يتحدث أو يتطرق لخطيئة آدم الموروثة، وأنَّ المسيح هو من يتحملها عن العباد ويموت من أجلها كما يعتقده النصارى، مع أنَّ هذا الأمر هو الأساس الذي

---

(١) حتمية الفداء (ص ١٧).

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ٩، الفقرة ١٣.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ١٥، القفرة ٢٤.

(٤) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٢، الفقرات ٢٩-٣٠.

(٥) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٥، الفقرات ٦-٧.

(٦) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٣، الفقرة ٣.

انطلقت منه الكثير من عقائد النصارى وشعائرهم، فلماذا غفل عنه العهد القديم؟!.

كما غفل عنه جميع الأنبياء السابقين، بل إنَّ هذا الأمر لم يرد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى بذلك الوضوح الذي وجدناه منتشراً في رسائل بولس من العهد الجديد فقط!.

فهل يعقل أنَّ هذا السر الكنسي ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة صلب المسيح، في أثناء أوقات التحريف؟! فيصح أن نقول إنَّ الأنبياء السابقين كتموا الحق ولم يبلغوه لأقوامهم، فكانوا بذلك من الضالمين!![1].

ثم لو قال قائل: إنَّ العهد القديم تحدث عن وراثة الأبناء ذنوب الآباء، لقيل: نعم إنَّ العهد القديم ذكر وراثة الأبناء ذنب الآباء؛ لكن ذكره لها لم يكن على الطريقة التي قررها النصارى في كتبهم ورسائلهم، فضلاً عن أنَّ العهد القديم كان متناقضاً في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، فمرة كما سبق معنا يقول: بأنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، ومرة يقول: إنَّ الله أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء.

الخامس والثلاثون: يلزم من معتقد النصارى هذا أنَّ جميع البشرية قبل ظهور المسيح وصلبه هالكة خاسرة وجب عليهم العذاب، وأنهم قد عذبوا في قبورهم، حتى جاء الفرج بظهور المسيح وتحمله ذنوبهم وكفرها عنهم.

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٨)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٥-١٦٦)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢٠٥، ٢١١).

السادس والثلاثون: يلزم من معتقد النصارى هذا أنَّ إرسال الله للرسل والأنبياء قبل المسيح كان عبثاً لا فائدة ولا طائل منه؛ حيث إنه هو العالم والمدبر لفداء المسيح للبشرية من ذنب أبيهم الموروث كما يزعمون.

السابع والثلاثون: إنَّ دعوى صلب المسيح من أجل تكفير خطايا البشر دعوى ينقضها ويهدمها ما جاء في كتاب النصارى المقدس من قيام المسيح بعد صلبه ودفنه بثلاثة أيام واجتماعه بأصحابه ثم صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه[١]، فالأولى أنه يفنى بلاهوته وناسوته بدلاً من قيامه وصعوده، وذلك ليتحقق المعنى من الفداء والتَّخليص، أمَّا أنه يقوم بعد صلبه وموته مباشرة فهذا عبث ضُيعت فيه ثمرة الفداء[٢].

الثامن والثلاثون: ذكر النصارى ضمن الشروط التي لابد من توافرها في الفادي أنْ يكون إنساناً ليمثل الإنسان أمام الله، وفي نفس الوقت أنْ يكون خالياً من الخطيئة؛ لأنه لو كان خاطئاً لاحتاج هو نفسه لمن يتحمل ذنبه ويكفره عنه، والبشر عندهم كلهم خطاة عصاة لا يوجد فيهم بار بما فيهم أنبياء الله عليهم السلام كما تقدم[٣]، فكلامهم هذا هو التناقض والاستحالة بعينها، فكيف يكون إنساناً بشرياً خالياً من الخطيئة والبشر كلهم – عندهم – لا ينفعون لأنه لا يوجد فيهم بار.

ونجد في نفس الوقت أيضاً أنَّ هذا الشرط؛ أعني كون الفادي لا بد أن يكون إنساناً يتناقض مع معتقد النصارى في القول بألوهية المسيح عليه السلام.

---

(١) انظر: إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الفقرات ٦٢-٦٦، والإصحاح ٢٨ بكامله.

(٢) انظر: دراسات في الأديان لسعود الخلف (ص ٢١٣).

(٣) انظر: مبحث معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره.

التاسع والثلاثون: يعتقد النصارى أنَّ خطيئة آدم انتقلت لأبنائه من بعده، ومما لا شك فيه أنَّ مريم أم عيسى عليهما السلام من سلالة آدم، فهي إذاً حامل لفيروس الخطيئة، وقد نقلته بدورها مع لبنها لابنها عيسى عليه السلام، فهو من جهة الناسوت -كما يعتقد النصارى- ابن لمريم حملت به ووضعته، فعلى هذا يكون عيسى قد تشرب الخطيئة وحمل فيروسها من جهة أمه مريم[(١)]، فهو إذاً غير طاهر ملوث دمه بجراثيم الخطيئة كما قاله القمص زكريا بطرس عن أنبياء الله عليهم السلام الآخرين[(٢)].

وفي ذلك أيضاً تعدٍ على يسوع الرب؛ حيث يلزم من هذا المعتقد أنَّ إلههم متشرب للخطية والذنب، وبذلك يكون عيسى غير مؤهل للفداء وتحمل ذنوب البشرية؛ فهو غير متوافر فيه أهم شروط الفادي التي يعتقد النصارى وجوب توافرها في المخلِّص، وهو خلو الفادي من أي خطيئة كما تقدم!!.

فليبحث النصارى إذاً عن فادٍ بشريٍ وفي نفس الوقت إبنٍ إلهٍ آخَرَ غير يسوع المسيح، لعلهم يجدونه في الديانات الوثنية والفلسفية القديمة شرقية كانت أو غربية!.

الأربعون: يعتقد النصارى أنَّ البشر كلهم تلوثوا بخطيئة أبيهم آدم؛ حتى الأنبياء منهم كما مرَّ سابقاً، وهذا الكلام يناقض ما جاء في كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد حيث نص الكتاب على وجود

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٨٦، ٨٩)، والمسيحية لأحمد شلبي (ص ١٦٦).

(٢) انظر: حتمية الفداء (ص ٦).

أبرار من البشر لم تقع منهم خطيئة؛ ففي العهد القديم، وبالتحديد في سفر التكوين منه فقد ورد أنَّ الله قال لنوح عليه السلام قبل الطوفان مباشرة مانصه: «ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك؛ لأني إياك رأيت باراً » [١]، وفي سفر حزقيال أضيف في البر مع نوح عليه السلام كل من: دانيال وأيوب، وذُكِر فيه أنَّ هؤلاء الثلاثة هم أبر الناس[٢]، وفي سفر ملاخي أنَّ الرب قال عن لاوي بن يعقوب الذي جاء من نسله كهنة يهود: « كان عهدي معه للحياة والسلام، وأعطيته إياهما للتقوى؛ فاتقاني، ومن اسمي ارتاع هو، شريعة الحق كانت في فيه، وإثم لم يوجد في شفتيه، سلك معي في السلام والاستقامة، وأرجع كثيرين عن الإثم؛ لأنَّ شفتي الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة؛ لأنه رسول ربِّ الجنود» [٣]، وفي إنجيل متى من العهد الجديد نجد أنَّ المسيح قسم الناس إلى قسمين؛ أبرار وعصاة خطاة؛ وذلك حينما قال للفريسيين من اليهود في أثناء اجتماعه مع تلاميذه وجماعة من الخطاة والعصاة: « لأني لم آت لأدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة» [٤].

الواحد والأربعون: إنَّ معتقد النصارى هذا يجعل الخاطئ المعفو عنه والعتيق المخلى سبيله أكثر امتناناً وشكراً ومحبة وتعظيماً للمخلِّص الفادي الذي ضحى بنفسه من أجله، وبذلك يكون الفادي في قلب المعفى عنه أعظم وأجل قدراً من الله تعالى؛ الذي كان باستطاعته أنْ يتجاوز عن

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٧، الفقرة ١.

(٢) انظر: سفر حزقيال، الإصحاح ١٤، الفقرات ١٤، ١٦، ٢٠ .

(٣) سفر ملاخي، الإصحاح ٢، الفقرات ٥ – ٧ .

(٤) إنجيل متى، الإصحاح ٩، الفقرة ١٣.

الخطيئة بغير هذا الأسلوب الانتقامي ولم يفعل، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً[١].

الثاني والأربعون: إنَّ فكرة الخطيئة الأولى ومؤاخذة البشرية بها فكرة قاتمة تصبغ الحياة بصبغة سوداوية ضبابية، تجعل صاحبها كما يذكر الدكتور نظمي لوقا: يمضي في حياته مضي المريب المتردد غير الواثق من نفسه وعمله، كما يصفها بأنها: فكرة قاسية، سممت ينابيع الحياة كلها، أستطاع القرآن الكريم أنْ يرفع عن البشرية وعن كاهلها هذه اللعنة عندما قرر أنْ لا تزر وازرة وزر أخرى، وعندما قال: ﴿ **وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾[٢]، فالقرآن الكريم بذلك ردَّ الأعتبار، ومزَّق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيده[٣].

أخيراً أقول: هذه العقيدة النصرانية وما اشتملت عليه من تناقضات ومآخذ عقلية لا تستسيغها العقول؛ جعلت الكثيرين من عقلاء وحكماء النصارى ينقبون في هذه المعتقدات ويتأملون فيها، باحثين عن الحق والهدى؛ الذي لاتضارب ولا عوج فيه ولا أمتا، ولا تمجه العقول السليمة الصحيحة.

يقول دافيد بنجامين الكلداني، المسمى بعد إسلامه بعبد الأحد داود، وهو كما تقدم أحد قساوسة الروم الكلدان في أثناء حديثه عن مسألة معتقد النصارى في الخطيئة الموروثة؛ المسألة التي دعته لترك النصرانية ودخول

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (ص ٨٩).

(٢) سورة طه، الآيات ١٢١ – ١٢٢ .

(٣) انظر: أضواء على المسيحية لمتولي شلبي (ص ٧٥).

الإسلام: « وقد كانت هذه المسألة أول الأسباب التي انتهت بي إلى عصيان الكنيسة، تأمرني الكنيسة أي المسيحية أنْ أومن بالأمور الآتية في الشفاعة:

١- أنَّ الله لا يُخلِّص أحداً من جهنم من الهلاك الأبدي بدون شفيع.

٢- أنَّ نوع البشر مفتقر بصورة قطعية ومطلقة إلى شفيع.

٣- يجب أنْ يكون الشفيع المطلق إلهاً تاماً وإنساناً تاماً.

... وقد كانت مسألة الشفاعة هذه هي التي حيرتني، وأورثتني الريب في صحة المسيحية، وساقتني إلى البحث الدقيق وفحص أسس الأديان بحرية »[1].

وقال أيضاً: « ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أنْ اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية ... وبعد هذا كله اضطررت إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمد ﷺ نبي حقاً، ولم أستطع التخلف عن ذلك »[2].

---

(١) الإنجيل والصليب (ص ٨٧- ٨٩).

(٢) الإنجيل والصليب (ص ١١).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا تزر عنده وازرة وزر أخرى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وصحبه أولي النهى، وبعد:

فبتوفيق وفضل من الله عز في علاه وصلت إلى إتمام هذه الدراسة، التي تناولت فيها مسألة « مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند أهل الكتاب »، استغرق إعدادها جهداً ووقتاً ليس بالهين، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أنْ يبارك وينفع بها، وأنْ يجعلها في موازين حسناتي، ولعل من المناسب أنْ أقف في نهايتها وقفة أذكر فيها أهم نتائجها، والتي أجملها فيما يلي:

١- إنَّ أساس وأصل عقيدة اليهود التى أتى بها نبي الله موسى عليه السلام، وذلك كما ثبت في القرآن الكريم، ونصوص العهد القديم، هو عدم توريث الذنب، وعدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، وعدم وجود خطيئة موروثة، وأنَّ كل نفس بما كسبت رهينة.

٢- إنَّ عقيدة اليهود في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره حسب ورودها في أسفار العهد القديم عقيدة غير مطردة؛ فمرة نجدها تنص على أنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، وأنَّ كُلَّ إنسانٍ بخطيئتهِ يُقتل، ومرة تتناقض وتنص وبكل وضوح على أنَّ الإنسان يؤخذ بجرم وجريرة غيره، وأنَّ المعصية تورث للأبناء والذراري.

٣- إنَّ قول اليهود في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره لم يكن على الطريقة التي قال بها النصارى؛ فهم لم يتطرقوا لمسألة توريث خطيئة آدم عليه السلام التي انطلق منها النصارى في معتقدهم.

٤- إنَّ تسرب معتقد مؤاخذة الإنسان بجرم غيره لليهود وكتبهم، كان عن طريق الأمم الوثنية قبل اليهود، الذين احتك بهم بنو إسرائيل، كما نص على ذلك القرآن الكريم، وسفر الملوك الثاني من العهد القديم، وكبار علماء مقارنة الأديان من غير المسلمين.

٥- إنَّ معتقد توريث الذنب، ومؤاخذة الغير به، وتفشيه بين اليهود، هو ما كان يرفضه ويحاربه سفر حزقيال، ومن قبله إرميا؛ وهما من أسفار العهد القديم الهامة.

٦- إنَّ كثيراً من نصوص العهد القديم التي ذُكر فيها مؤاخذة الإنسان بجرم غيره، ووراثة الأبناء ذنوب الآباء، اشتملت بالإضافة للتناقض والتضارب على سوأتين عظيمتين؛ أولهما: وصف الله الحكم العدل بالظلم والجور، وثانيهما: انتقاص الأنبياء الأطهار؛ إما بوصفهم بالظلم والجور، أو بالوقوع في الفواحش والنقائص والمنكرات.

٧- إنَّ العدل الإلهي جاء واضحاً جلياً في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة؛ حيث جاء فيهما العديد من النصوص، التي نصت على أنَّ كل نفس بما كسبت رهينة، وأنَّ كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا يسأل عن عمل غيره إلا بمقدار مشاركته فيه، وأنه سبحانه حكم عدل، ليس بظلام للعبيد.

٨- إنَّ مسألة توريث الذنب، ومؤاخذة الإنسان بجرم غيره؛ هي حقيقة جوهرية في الديانة النصرانية، يقوم عليها جل طقوس الديانة والعقيدة عندهم، والتي من أهمها الأساس الثاني من أسس ديانتهم؛ وهي عقيدة صلب المسيح عليه السلام.

٩- يرى النصارى أنَّ خطيئة آدم توارثها بنوه من بعده، وأنَّ الله تعالى غضب عليه وعلى بنيه بسببها، وأنه بمقتضى صفة العدل عاقب آدم وبنيه، وبمقتضى صفتي الرحمة والمحبة جاء بطريق الخلاص، وهو التضحية بابنه الوحيد، على خشبة الصلب، فداء للبشرية عن الخطيئة الموروثة.

١٠- يعتقد النصارى أنَّ المسيح لم يأتِ إلى العالم بكونه نبياً، فخانه الحظ وقتله قومه، إنما أتى إلى العالم لكي يحل مشكلة البشرية الكبرى والمعقدة، وهي تكفير خطيئة أبي البشرية آدم، التي توارثها بنوه من بعده.

١١- إنَّ النَّاظر في معتقد النصارى هذا يجده في رسائل بولس العديدة أكثر وضوحاً وتقريراً منه في الأناجيل الأربعة.

١٢- يرى النصارى: أنَّ خطايا وآثام البشر لا يمكن أنْ تزال بالأعمال الصالحة والطاعات، أو بالتوبة والإنابه إلى الله، فهي في نظرهم أعمال ملطخة بنقائص الطبيعة البشرية، مثلها مثل الثياب النجسة القذرة، والطريق الوحيد لإزالتها عندهم هو موت المسيح الكفَّاري.

١٣- إنَّ شروط الفادي مخلِّص البشرية من الذنب والجرم الموروث عند النصارى أولها: أنْ لا يكون محدوداً، وثانيها: أنْ لا يكون حيواناً، وثالثها: أنْ يكون خالياً من الخطيئة، ورابعها: أنْ لا يكون ملاكاً أو مخلوقاً سماوياً نفسه ليست ملكا له، وخامسها: أنْ يكون إنساناً؛ ليمثل الإنسان أمام الله.

١٤- إنَّ معتقد توريث الذنب، وأخذ البريء بذنب المذنب، ووجود من يتحمل هذه الخطايا عن غيره، هي فكرة وثنية تسربت للنصرانية، بتدبير وتخطيط من شاول اليهودي، وقد كانت منتشرة عند عدد من الوثنيات

والفلسفات الفارسية المثرائية، والهندية والمصرية والسورية والإغريقية والرومانية، وغيرها من فلسفات ووثنيات.

١٥- إنَّ من الحقائق المسلم بها، التي لا يستطيع عاقل تغطيتها، أنَّ الديانة المسيحية بعد رفع المسيح بزمن قليل غُيرت وبدلت، فأصبحت بولسية بعد أنْ كانت عيسوية.

١٦- إنَّ المؤاخذات على معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره اشتملت على أنواع عدة من المطاعن، فمنها ما يبيّن مدى التناقض بين نصوص كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد، ومنها ما يبيّن تناقضاً في معتقدات النصارى الواردة في كتبهم المقدسة، ومنها ما يبيّن مخالفة معتقدهم لكثير من القضايا العقلية البدهية التي تعدُّ من المسلمات.

١٧- يوجد بعض التناقض والاختلاف بين ما يعتقده النصارى في قصة آدم وأكله من الشجرة وبين ما هو موجود في كتابهم المقدس.

١٨- يوجد بعض المفارقات والاختلافات بين قصة آدم وأكله من الشجرة الواردة في كتاب النصارى المقدس وبين ما هو موجود في القرآن الكريم.

١٩- إنَّ في معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره وصفاً لله تعالى بمجموعة من النقائص؛ من أهمها: الظلم والجور، والعجز والضعف، والحيرة والتخبط، وعدم العدل، وعدم الحكمة، وعدم الرحمة، وعدم قدرته على غفران الذنب، وعدم معرفته وعلمه بعواقب الأمور ومآلها، وأنَّ له ابناً وصف بالفادي والمخلِّص هو في الحقيقة من يستحق الامتنان والشكر.

٢٠- إنَّ في معتقد النصارى هذا وصف للأنبياء بنقائص عدة؛ منها: الخيانة، وكتمان الحق، والظلم، وعدم البر، وأنَّ إرسالهم نوع من العبث لا طائل تحته، وأنَّ دماءهم ملطخة ملوثة بخطيئة أبيهم آدم.

٢١- إنَّ ما يعتقده النصارى في صلب المسيح وأنه كان تكفيراً لذنب آدم الموروث وذنوب البشرية الأخرى اشتمل على كثير من التناقضات والمآخذ، مما جعله معتقداً فاسداً، لا يستقيم أمام الحجة والبرهان، موصوفاً من قِبل النقَّاد والعلماء بأنه خرافة، وأنه من المضحكات.

٢٢- إنَّ معنى نفي وجود خطيئة لآدم توارث بنوه جرمها من بعده هو هدم للقول بصلب المسيح تكفيراً لخطايا البشر، الذي يعدُّ عند أهله عماد الإنجيل، وركيزة من أهم ركائز الكنيسة والدين، وهو عصب كل عقيدة عندهم.

٢٣- إنَّ شروط الفادي المخلِّص عند النصارى يستحيل عقلاً أنْ تنطبق على أحد في الوجود، حتى المسيح نفسه.

٢٤- إنَّ كثيراً من نصوص كتاب النصارى المقدس، وأقوال ومصنفات علمائهم، دلت دلالة واضحة، على أنَّ غفران الذنوب يتمُّ عن طريق التوبة إلى الله، والعودة إليه، وتقديم الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الطالحة، وذلك على عكس ما يعتقدونه من أنَّ ذنوب العباد والخطيئة الموروثة لن تغفر إلا بصلب وسفك دم يسوع؛ الفادي المخلِّص ابن الله الوحيد!!.

٢٥- إنَّ معتقد النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره يجعل النصارى يعيشون بلا قانون أو شريعة أو رادع، وما انتشار الانسلاخ من

كل معاني الفضيلة، والوقوع والغرق في الرذيلة في ديارهم إلا دليل على ذلك.

٢٦- إنَّ إحساس الإنسان بالمسؤولية الفردية، وأنه محاسب على جميع أعماله وأقواله، يُعدُّ رادعاً قوياً له يقيه من شرور وأضرار ذنوبه ومعاصيه.

٢٧- إنَّ عيسى عليه السلام كما جاء في كثير من نصوص كتاب النصارى المقدس، أرسل لدعوة بني إسرائيل للرجوع إلى الله تعالى، والتوبة إليه، وعبادته وحده لا شريك له، وليس كما يقوله النصارى: من أنه لم يأت إلى العالم إلا من أجل الخطيئة الموروثة، وأنه قدم نفسه فداء من أجلها.

هذا: وفي نهاية هذه الرحلة والتطواف أسأل الله سبحانه أنْ أكون قد وفقت لبلوغ المراد، مع علمي علم اليقين بأنَّ عمل البشر لا يخلو من عيب وزلل، كما أسأله سبحانه أنْ ينفع بهذه الدراسة، وأنْ يرزقني الإخلاص في القول والعمل، والفائدة من أولي النُّهى دوماً تنتظر، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وإخوته الأنبياء الطاهرين المتقين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١-القرآن الكريم.

٢-الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣-إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٤-الإسلام بعيون مسيحية، لطفي حداد، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٥-الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ، ترجمة: سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

٦-أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٧-إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨-الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق الدكتور: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، طبعة: ١٣٩٨هـ.

٩-الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠- الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، القاهرة.
١١- انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، مكتبة الشقري، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
١٢- بذل المجهود في إفحام اليهود، الحكيم السموءل، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٣- بين الإسلام والمسيحية (مقامع هامات الصلبان، ورواتع روضات الإيمان)، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
١٤- تحريف رسالة المسيح - عليه السلام - عبر التاريخ (أسبابه ونتائجه)، بسمة بنت أحمد جستنيه، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٥- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، أبو محمد عبد الله الميورقي الترجمان، تحقيق: عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٦- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٧- التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، سامي بن علي القليطي، رسالة دكتوراه، الجامعة الوطنية، كلية الدراسات الإسلامية، قسم الفلسفة وأصول الدين، ماليزيا.

١٨- التفسير التطبيقي للكتاب المقدَّس، نخبة من علماء وأساتذة اللاهوت المسيحيين، تعريب وجمع ومونتاج شركة ماستر ميديا، القاهرة.

١٩- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٠- تهافت الهداية في الرد على المسيحيين ضد كتاب الهداية، نخبة من العلماء تحت إشراف: نادي فرج درويش العطار، مركز ابن العطار للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢١- ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، يوسف رياض، الطبعة السادسة، ١٩٩٩م.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر، وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٣- حتمية الفداء، القمص: زكريا بطرس، نشر موقع زكريا بطرس: **www.fatherzakaria.com**

٢٤- حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس: فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، وطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٦- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٧- دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، دار الثقافة المسيحية، ومطبعة دار نوبار، القاهرة.

٢٨- الدليل الروحي(مرشد يومي للعبادة ودراسة الكتاب المقدس)، القمص: أنطونيوس فهمي، والقمص: بولا ناشد، مكتبة مار مرقص، مطرانية بني سويف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٢٩- رد مفتريات المبشرين على الإسلام، عبد الجليل شلبي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٣٠- رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ترجمة: حسن حفني، ومراجعة فؤاد زكريا، دار وهدان للطباعة والنشر.

٣١- سلسلة الأحاديث الصحيحه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٣٢- السنن، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٣٣- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق: عزت الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٣٤- السنن، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٥- شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، القس منيس عبد النور، كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، القاهرة.

٣٦- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز علي بن علي الحنفي، تحقيق: عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

٣٧- الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٨- الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩- العبادات في الأديان السماوية، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤٠- العبادة المسيحية، الارشمندريت إلياس، مكتبة السائح، طرابلس، طبعة: ١٩٨٥م.

٤١- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد الطاهر التنير، تحقيق وتعليق: محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٢- الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجه جي زاده، تدقيق وتعليق: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٣- قاموس الكتاب المقدَّس، القس: بطرس عبد الملك، والقس: جون الكساندر طمس، وإبراهيم مطر وغيرهم، دار الثقافة المسيحية، ومطبعة سيوبرس، القاهرة، الطبعة العاشرة.

٤٤- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار الحديث، القاهرة.

٤٥- قصص الأنبياء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: لجنة من العلماء، دار القلم، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١١هـ.

٤٦- الكتاب المقدَّس بعهديه: القديم (٣٩ سفراً)، والجديد (٢٧ سفراً)، دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، طبعة: ١٩٩٥م.

٤٧- الكفارة في المفهوم المسيحي، يوسف رياض، مطبعة كنيسة الأخوة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٨- اللزوميات، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.

٥٠- الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٥١- ماذا يجب أنْ يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السليمان الجبهان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، طبعة: ١٤٠٤هـ.

٥٢- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

٥٣- مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٩م.

٥٤- المسند، أحمد بن حنبل، فهرسة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.

٥٥- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت.

٥٦- المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨م.

٥٧- مسيحيون أم بولسيون؟ محمد نادر عفيفي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٨- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة: ١٤١٥هـ.

٥٩- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٦٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طبعة: ١٣٩٤هـ.

٦١- المعمودية الأفخارستيا والكهنوت (بيان ليما)، تعريب الأب ميشال نجم، منشورات النور، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، طبعة: ١٩٨٤م.

٦٢- مقارنة الأديان، طارق بن خليل السعدي، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٦٣- ملكوت الله في اليهودية والنصرانية والإسلام، عبد المجيد الجندي، القاهرة.

٦٤- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، الرياض، ودار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٦٥- موسوعة المدن العربية والإسلامية، يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦٦- النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عرفان عبد الحميد فتاح، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٧- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحي المتطبب، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة: ١٤٠٦هـ.

٦٨- اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة ١٢، ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٦٩
الفصل الأول: مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند اليهود.....	٢٧٢
المبحث الأول: عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره	٢٧٢
المبحث الثاني:تناقض عقيدة اليهود في أخذ الإنسان بجرم غيره.....	٢٧٧
الفصل الثاني:مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عند النصارى	٢٩٥
المبحث الأول: عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره.....	٢٩٥
المبحث الثاني : عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره عقيدة وثنية	٣١١
المبحث الثالث: التناقضات والمؤاخذات على عقيدة النصارى في مؤاخذة الإنسان بجرم غيره	٣٢١
الخاتمة.....	٣٥٩
قائمة المراجع.....	٣٦٥
فهرس الموضوعات.....	٣٧٣